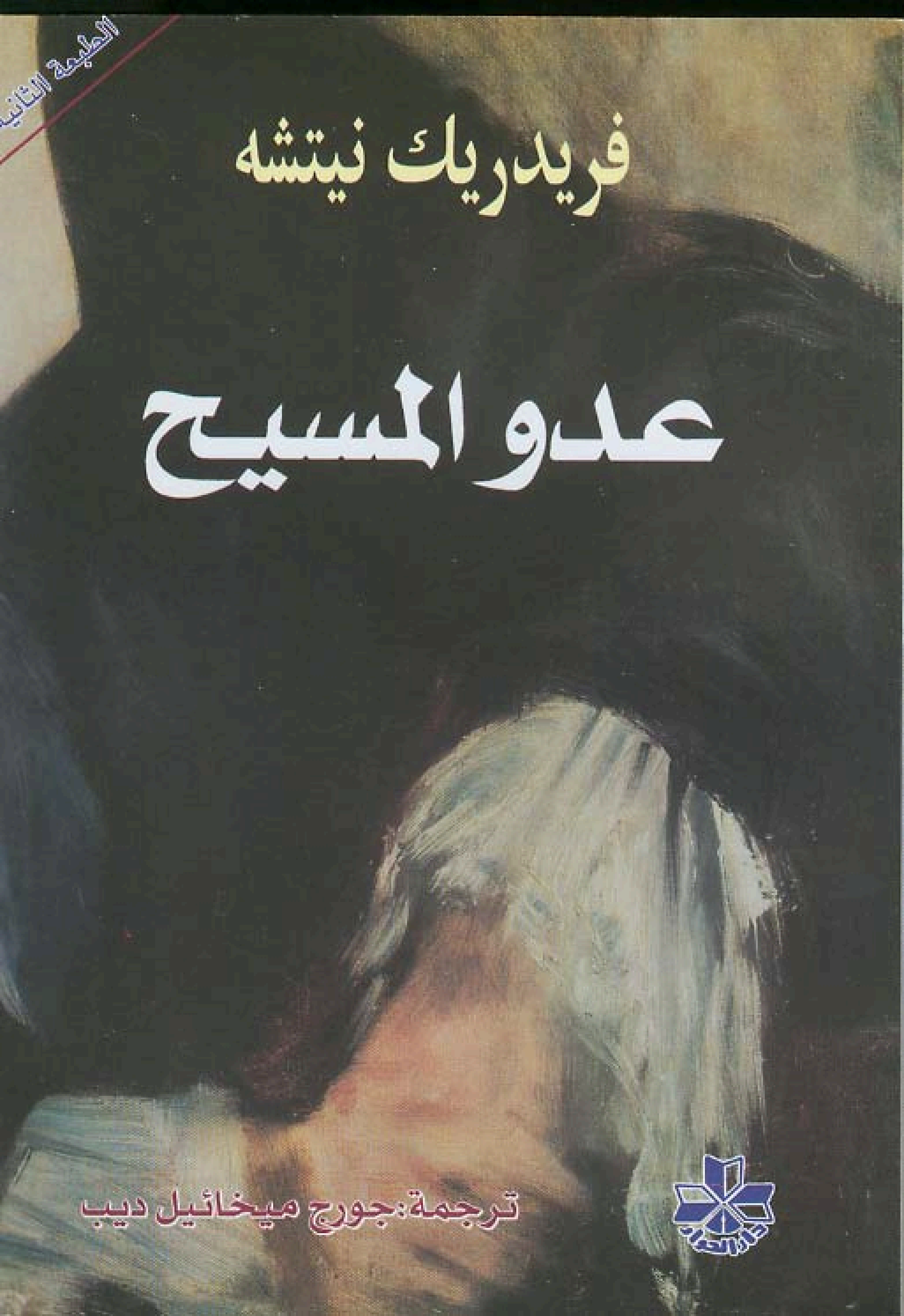
الطبعة الثانية

فريدريك نيتشه

عدو المسيح

ترجمة: جورج ميخائيل ديب





مقدمة من المترجم

أتعلّم من الكثيرين ولكن لا أثق بأحد.

إنّي وإن كنت اليوم ما أزال أعدّ نيتشه أجرأ ذهنيّة وجدت على الأرض، وأقوى عقليّة قيّض لنا أن نسمع صوتها، فإنّ ذلك ليس عن اختيارٍ محض فلسفي أو ذاتيّ. إنّه ناتج تقديري لداروين وعلماء الطبيعة والفلك قبله وبعده. ولكن أليس انحيازاً، هنا أو هناك، لرجل؟ الأمر مختلف جداً. حين تؤمن بمؤسس مذهب أو فلسفة فهذا أمرٌ يتعلق بمنحى، بتوجّه، بمقولة ذلك الرجل ذاته، أمّا مع العلم، فإن الرجل ليس غير مكتشف، لا صاحب نظرية أو مذهب عقيدي. داروين ليس غير اسم لتعيين

حالـــة طبيعيّة هو اكتشفها. لسنا نؤمن به بل بالحقائق الطبيعيّة [ومن المؤسف أن تُسمّى إلى اليوم نظريّة داروين!].

الوجهـــة الفلســفية للمــرء ــ روحانيّة أو عقلانيّة ــ تحدّد الفيلســوف أو الفلاسفة الذين يعدّهم الأفضل. بارتلمي سانتهلر لــيس صدفة، إذ يقدّر أفلاطون ككبير فلاسفة اليونان، أن يقدّر "كــانط" حديــثاً بوصفه أفلاطون الفلاسفة المحدثين! إنّه التوجّه الروحيّ مهما اتّخذ من شكل.

أقــول إذاً، إنني وإن كنت أعدّ نيتشه أقوى تعبير عن الفكر الحــرّ ــ اللاديني والمناهض للميتافيزيقيا والمحبّ للأرض ــ فإننــي منذ سنين قليلة قد ألقيت ثقله عن ظهري كعقلية صائبة بالكليّة وبغير أخطاء.

صــباح يوم من أيّام مايو، السنة الأخيرة من الألفيّة السالفة بحسب التقويم الزائف ــ بتعبير نيتشه الرائع نفسه ــ وأنا أنظر مــن نافذتــي إلــى الجبــال المحيطة بكاراكس وكلّها خضراء وأعاليها محجوب بالضباب، متأملاً في الطبيعة والمدنية وتطوّر الإنســان، تبدّى لي أنّ إنسان نيتشه أقرب إلى الإنسان الحربي مــنه إلى الإنسان العقلاني. سوف تلاحظ ذلك بقوّة في الفصول الأولى من هذا الكتاب.

فكيف ــ كنت أسأل نفسي ــ كيف أمكن للإنسان المتفوّق أن يكون قد ظهر ــ وإن في لمحات في الماضي ــ ونحن نعرف أنــنا إلــى اليوم لم نزل نشكو من وهن معرفي، ليس بمكتمل الــتكوّن؟ الإنسان الراقي ليس طفرة أو ضربة حظّ، بل مرتهن بدرجة تطوّر المجتمع.

نفهم في العمق هذا الإنسان ومقصد نيتشه منه: قويّ جريءٌ ليس بهياب، محبّ للحياة، كأنّه من أتباع ديونيس وغير مسيحيّ بالمــرّة ــ وهــذا الضّعف المسيحي هو الأمر المهمّ الذي دفع بنيتشه إلى هذا التطرّف مع إنسانه المتفوّق ــ أجل غير مسيحي بالمــرّة، لــيس بمشــفق ولا شاندالا، وليس في صفّ الواهنين والعجزة ونعجات القطعان.

يكــره نيتشــه حضــارتنا الحديثة الرعاعية، وكثيراً ما يذمّ العلماء (انظر ما وراء الخير والشر، وزرادشت) بينما حضارتنا الحديــثة بعلومها واكتشافاتها هي بذاتها من هيّأ له في الأساس، وعــبر ديمقراطيتها، أن يعلن ((أن الله قد مات)). لقد كان هو المعــبّر الاســميّ لما قرّره علم الفلك قبله ــ مثلاً لابلاس مع بونابرت ــ وقرّره وولاس وداروين.

يــتطوّر الإنســان ليكون قوياً بطريقة أروع (فإنّ ما صدق لقرون خالية بما يقرّره ابن خلدون قد سقط الآن، والمدنية تتيح

القــوّة بطــريقة تختلف عمّا كانت تصيب به القدماء من وهن جسدي، فالمعركة اليوم معركة ذكاء لا جسد) يتطوّر ليكون لا مســيحياً، بعلومـــه ورأسماليته وتثمينه للأرض، دون أن يكون نسخة عن وثنيين شرفاء. فالتاريخ لا يعيد نفسه.

الإنسان المتفوّق ربّما يكون غداً، كما تدلّ منظورات علمية مســتقبلية كثــيرة، لا بيولوجياً جينياً فقط، بل سيليكونياً، وبديل سيليكون آتٍ.. سوف لن تكرّس أبدع الصفات المنتخبة في أفراد معدّليــن، ومن جهة الجسد فحسْب، بل وكذلك الصفات العقليّة مدعّمــة بقدرة كمبيوترية! الإنسان القادم سيحوي صفات الغابة والمدنــية، صفات الجسد الرائع والرقي الدماغيّ.. في الجنس والجمـــال والذهــن. والعقل في ذلك كلّه هو الأساس، لكن مع تخوّف دائم من حشوه بخرافاتنا الحالية وبالأخصّ الدينيّة.

لكنّ النقطة المهمّة أن نيتشه يفتقد حوله النبالة، ويشتكي من الرعاعيّة وعدم وجود النظام التراتبي الذي يعدّه طبيعيّاً. ولأجل ذلــك يمتدح قانون مانو وتراتبيّة الهند إلى حدٍّ يجعله يقرّر أنّ الطــبقة ليست اختياراً بل طبيعة، وهو في هذا يغالي أكثر من أفلاطــون حيــن يــتحدّث عــن عــروق الذهب والنحاس في جمهوريته.

مـــع ذلك لا يمكن لنظام النبالة والتفوّق والتفريق أن يندثر، فالــنوع الأرقى من الديمقراطيّة يتيح الفرص للتباين والتفوّق. وعلـــى نطـــاق كبير فإننا نلاحظ اليوم طبقات أمميّة: عالم أوّل وعالم ثالث، وربّما دول شاندالا ومنبوذين. إنّ سقوط الشيوعية له دلالته هنا.

***

شيءٌ في نيتشه اسمّيه الاندفاعة العاطفية.

مـــثلها من أوقعه في هوّة العَود الأبدي الموجود عند اليونان وكذلك عند الطاويّة.

وإننا نعلم اليوم أنّ الكون دائم التمدّد وليس ثمّة انكماش.

ومـــثل هـــذه الاندفاعة العاطفيّة هو ما دفعه إلى موقفه الذي يُفهـــم من خلاله يسوع بوصفه مثال المحبة والرأفة والمسامحة خالصة.

لقد كنتُ وضعتُ في هذا الكتاب هوامش كثيرة تمثّل ردوداً علـــى آراء عديدة فيه، ثمّ ألغيتها مستعيضاً عنها بإشارات قليلة فـــي هـــذه المقدمـــة. إذ بدت لي طريقة الردّ على الكاتب في الهوامـــش طـــريقة أبعد ما تكون عن الذوق، وتحيل كتابه إلى

نقـــاش فلا يبقى طرحاً. إنّها تقحم ذاتاً أخرى متطفّلة في مملكة الكاتــب نفســه وتجعــل من كتابه ساحة تنازع، فتعكّر تسلسله وخصوصيته الأصليين.

وإذاً تجاه يسوع أقول هنا إنّ فهم نيتشه له هو فهم تعسفي، لا يقــرأ الأناجيل كفايةً ليجد يسوع التاريخي. في النبذة 32 مثلاً يذكر عن يسوع عبارات هي في التحليل النقدي منحولة.

لقد اقتضاني البحث عن حقيقة يسوع سنوات وفي يدي الآن مخطــوط عن ذلك، خلاصته أن يسوع داعية يهوديّ بامتياز، وحتّى وصفه الكنعانيين بأنهم كلاب ولو عددته منحولاً عليه فإنّه يعبر عنه، بينما المناقض بإرساله إلى الأمم هو معاً منحول ولا يعبّر عنه. ولا ننسَ طلبه من تلاميذه اقتناء السيوف وتأكده من وجود بعضها معهم، وكذلك يأسه المريع على الصليب وإدراكه أنّــه قــد انــتهى وأنّ الله قد تركه، وقبله تخفّيه الدائم الذي هو علامــة مميّزة كخــطّ أحمر في الأناجيل، واختباؤه في جبل الزيــتون قبــيل القــبض عليه، مع طلبه من تلاميذه أن يبقوا مستيقظين ويحرسوه.

كــلّ ذلك محوّر طبعاً ومبطّن بدلالة دينيّة مجتلبة، لكنّ من يعــرف القــراءة على النمط الذي يطلبه نيتشه نفسه فإنّ الأمر واضح.

اندفـــاع نيتشـــه الحماسي دفعه كذلك إلى تكريم قانون مانو، والإسلام من خلال الإعجاب بملمح أرضيّ فيهما. وعندما يقول فــي النبذة 60 أنّ العالم الرائع للأندلسيين قد غُمر فحُرمت منه أوروبا، يتجاهل أنّ ذلك الغمر كان في اندفاعة الأوروبيين إلى الكشوف والفتوحات والنهضة، ممّا عُدّ في خلاصته تحرّراً من المسيحيّة وانتهاء للعصور الوسطى، التي هي عصور المسيحية في الغرب.

***

إنّما إذا انتقلنا الآن إلى صميم فكرته: فإنّه ضدّ هذه الكهنوتيّة الــيهودية الماورائــية الضاغنة على النبالة والتفوّق. إنها فكرة نبيلة ما تزال حاضرة الصوت إلى اليوم، وبقوّة.

وإنها دعوة إلى محبة الأرض، ودعم كلّ قويّ وعزوم ونيّر في الحياة... وكره كل ما هو كهنوتي وطقوسي وروحانيّ.

فيا للجوّ النقيّ الذي أحببته دوماً، حيث لا انفصام ولا تمزّق بين عالمين.

أنــا واحــدٌ من هؤلاء الذين كان يتطلّع إليهم دوماً، والذين يقــول عــنهم في المقدّمة من هذا الكتاب، إنهم الذين سيفهمون زرادشت، أولئك المولودون فيما بعد؟

إذ كنت أظنّ ذلك فإنّي بالتالي أتساءل هل نحن كثرٌ، وبالأخص في هذه المنطقة من العالم؟ أخشى الجواب بلا. فوق ذلك، وبفضل نيتشه وعلماء الطبيعة والفلك، وكما هو مفهوم بل مرجوٌ تاريخياً وحضارياً، نحن اليوم وفي أمور تفصيلية كثيرة نتجاوز نيتشه.

***

لكن لماذا أترجم هذا الكتاب؟ لأنّ الكثيرين ــ والعدد الأكبر بحسب تعبير نيتشه ــ لم يزالوا يعيشون في الزمن الذهني السابق عليه، بل البعيد جداً عنه إلى الوراء.

لا لأولئك الصرحاء المقدامين الناظرين بإخلاص تام إلى الأمام أقدّم هذا الكتاب، فهؤلاء قد صاروا بغنيةٍ عنه، بل إلى أولئك المتردّدين، وأولئك الناظرين إلى الوراء حيث يظنون العصر الذهبي مع أسلافهم ودُعاة معتقداتهم.

يعيش الكثيرون في تناقض آخر غير الماديّ والروحي، هو الحاضر والماضي، هؤلاء يمشون متراجعين وبظهورٍ إلى المستقبل!

لو كان الأمر أمرَ نقضٍ للمسيحية فحسب، لما كان بالغ الجدوى نشرُ هذا الكتاب وفي بلادٍ عموم ساكنها مسلم. لكن من

ورائه أريد أن أضع بين يديّ القارئ، وليس فقط بين يديه، بل في عقله إن أمكنه، منحىً مختلفاً في الرؤية التاريخيّة يقدّمه فيلسوف كبير، كما أريد أن أوضح أنّ تقدم الغرب قد أتيح ــ وعُبّر عنه معاً ــ بأمور كثيرة منها إتاحة المجال للآراء العقلية وإفساح المدى الوسيع للنقد الديني وفصل الدين عن الدولة. ثمّ إنّ نقد نيتشه للمسيحية يقوم على نقد اليهودية بالذات.

قد يقال إنّ المسيحية تحمل إمكانية من المرونة أكثر ممّا في الإسلام كونها ليست شريعة، وقد يكون هذا نظرياً فيه شيء من الصواب، لكن لا أحد يحدثني عن الواقع. فإنّ كلّ ديانة واحديّة هي تعصّب لإيمان، ولا ننسَ محاكم التفتيش وقتل برونو ومحاكمة غاليليو والعنف الديني في فرنسا وبريطانيا لمّا بدا أن الكنيسة في الواقع تتعرّض للهجوم.

لقد كانت المسيحية عقبة بدورها، وتقدُّم أوروبا بدءاً من عصر النهضة يتماهى مع تقهقر المسيحيّة.

لعلّ أقدمية المسيحية على الإسلام بست مئة سنة، أهرَمها، ومكّن منها أوروبا. ولكن ما أعرفه أنّ هذا المنحى عبثي، فنشوء واضمحلال ديانة يتعلق بالمجتمع وتطوّره وبشبابه أو هرمه. فهل نستفيد من التراث النقدي تجاه المسيحيّة؟

إنّ كـل امـرئ يحـب ولـده بأكثر من محبته لأبيه، لأنه المسـتقبل، وجلّ ما أخشاه هنا، وفي هذه القضايا البالغة الوسع والأهمية، أنْ نفعل العكس.

***

فـيما يخـتصّ بالترجمة فقد تَرجمت هذا الكتاب عن ثلاث تـرجمات مختلفة للكتاب باللغة الإسبانية. وكنت ملتزماً للتدقيق البالغ بمقابلة كلِّ عبارة على النسخ الثلاث.

وأمّـا الهوامـش فهـي فقط تفسيرية للمساعدة على جلاء النصّ.علامة [P] تدل على هوامش الترجمة الإسبانية الصادرة عـن Panamericana فـي بوليفيا، ترجمة مارتا ميزاروس وتقديـم وهوامـش رافائـيل جـيراردوت، وهي طبعة غنية بالمعلومات والصور.

أمّا بقية الهوامش فهي لي. مع الإشارة إلى أنّ نيتشه لم يضع أية هوامش.

مقتطف من مقدمة الترجمة الإسبانية

التي وضعها رافائيل جيراردوت

العـنوان الأصـلي للأنتي كريستو (Der Antichrist) هو على ما يظهر واضح. ترجمته الإسبانية تتبع الصورة المعادية ليسـوع والموجودة في رؤيا يوحنا[1]. والعنوان الفرعي ((لعنة

---

[1] إنّ كلمة "ضدُّ المسيح" لا توجد إلا في رسالتي يوحنا الأولى والثانية (1 يوحـنا2:18,2:22 و3:4.. و2 يوحـنا7) والـرؤيا لا تذكر حرفياً هذه الكلمة، ولكن واضح ممّا تصفه أنّها ترسم صورة أشمل من الرسائل لضدّية المسـيح،حيث محاربة "القديسين" ولعن الله وسجود الأكثرين للضدّ.وهذا ما يذكـره نيتشـه ويـريده، مع استخدام تلك الكلمة من الرسالتين.(تعليق من المترجم إلى العربية)

ضدّ المسيحية))، وأيضاً مضمون العمل، لا يغطيان بالكليّة هذا الإيحاء، وإنما يضعان عدّة إشارات أخرى توضح المقصد، كما أنهـا في ذات الوقت تعطي كثافة وتعقيداً يحجب النبرة الجدلية للعنوان.

في كتابه ((هذا هو الإنسان)) كتبَ نيتشه: ((أنا "ضدُّ الحمار بامتياز" ومعه أنا وحشٌ تاريخيّ عالميّ، أنا في اليونانية، ولكن ليس في اليونانية فقط، ضدّ المسيح)) (IV,2). في "ضدّ الحمار" يشير نيتشه إلى فصول "البعث" و"عيد الحمار" في الجزء الرابع مـن زرادشت، والتي يصوّر فيها ((الناس الراقين، والذين هم الملِكان، والبابا المعتزل، والساحر اللعين، والمتسول باختياره، والسـائح الحـاج والظلّ، والعراف القديم، والمتأثّم في الروح، وأقبح العالمين)) يصورّهم وهم راكعون يعبدون الحمار: هذا هو "إلهـنا". ولدى صيرورته ((ضدّ الحمار بامتياز)) يكون نيتشه ضدّ ـ إله أولئك ((الناس الراقين)) وكذلك ((وحش تاريخي ـ عالمـي))، وهـذا هو ((حيوان له عشرة قرون وسبعة رؤوس وعلـى قرونه عشرة تيجان، وعلى رؤوسه اسم تجديف)) كما تصف الرؤيا (فصل 1:13) ضدُّ المسيح.

لكنّ عبارة ((أنا في اليونانية..)) تشير إلى معنى آخر لكلمة حمـار، إلى المعنى الإيجابي، أي إلى المعرفة التي يمتلكها هذا

الحـيوان فـي عـبادة ديونيسيوس. لقد كان الحمار بعد الثور والتيس، الحيوان الثالث المختار من ديونيسيوس.

فديونيسـيوس وخاصتـته كانوا يمتطون الحمير، ونهيق هذه الحيوانات كان يسبب رعباً للأعداء فيبادرون إلى الهرب.

فـي العبارة الملغِزة بدئياً ((أنا، في اليونانية، ولكن ليس في اليونانية فقط)) يتطابق حمار زرادشت بوصفه ضدّ ـ إله أولئك ((الـناس الراقيـن))، مـع ضدّ ـ المسيح الرؤيوي، الذي هو ((الوحـش التاريخـي العالمـي))، ومعهما حمار ديونيسيوس بوصفه ضدّ ـ مسيح جدلياً، بامتلاكه سمة صوت صارخ متّحدٌ، فـي السطر المعروف الذي كتبه نيتشه في لحظة نشوة ذاهلة: ((ديونيسيوس ضدّ المصلوب)).

الوحش هو ((عالميٌّ تاريخياً)) ليس لأنه في صورته وفكرته هذه يكرّر الصورة الرؤيوية، بل لأن نيتشه بعمله الجدليّ يدشن عصـراً جديداً في التاريخ العالمي، ويفتح الأبواب على فلسفة المستقبل الديونيسية. ((ضدُّ ـ المسيح)) هكذا ((Elanticristo))، هو ضدّ ـ المسيحيّ ((Elanticristiano)).

مقدّمة

هذا الكتاب ينتمي إلى القليلين... الذين لعلّ أحداً منهم لم يولد إلى الحياة حتى الآن.

ولعلّهم أن يكونوا أولئك الذين سيفهمون زرادشتي.

كيف أملك أن أخلط ذاتي مع أولئك الذين يُستمع إليهم اليوم؟!

الغدُ وحده هو الذي يخصّني، وبعض المولودين فيما بعد.

تلك الظروف المقتضاة للفهم، والتي بموجبها يُمكن أن أُفهم بالضرورة، أنا أعرفها حقّ المعرفة:

يجب أن يكون المرء نزيهاً حتّى الصرامة في الأمور الروحية كي يتمكّن من احتمال جدّيتي واندفاعي.. عليه أن

يكون متمرساً على الحياة فوق الجبال ليَرى في الأسفل النمائم البائسة حول السياسة وأنانيّة الشعب.. يجب أن يغدو غير مبالٍ، وألاّ يكون ثمّة سؤال أبداً إن كانت الحقيقة ذات نفع، أو أنّها تنقلب شؤماً على أحد.

يجب أن تُحاز قوة الميل إلى الأسئلة التي لا يملك أحد الشجاعة اليوم كيما يعرضها؛ الشجاعة تجاه الأشياء الممنوعة، وضرورة التهيّؤ للمصاعب.. من العزلة يجب أن تكوّن خبرة.

مستمعون جدد يجب أن يوجَدوا لأجل موسيقا جديدة... عيون جديدة ترى ما هو أبعد.. ضمير جديد لأجل حقائق حتّى الآن هي بكماء، وإرادة اقتصاد من نمط كبير.. المحافظة على القوى الذاتيّة والحماسة الخاصّة... يجب أن يكون ثمّة احترام للذّات، ومحبّة للذات، وحريّة غير مقيّدة تجاه الذات.

حسنٌ إذاً!هؤلاء المطرّقون هكذا هم فقط قُرّائي، قرّائي الأخصّاء، قرّائي المختارون:

أية أهمية للآخرين، الآخرين الذين لعلّهم كلّ البشريّة؟

يجب التفوّق على البشرية بالعزم، وبتشدّد النفس.. وبالاحتقار.

FriedrichNietzsche

- 1 -

فلنحدّق في وجوهنا. إننا شماليون[1]، ونعرف معرفة وافية الجزء الذي نحيا فيه.

((لا في الأرض ولا في المياه تصادف الطريق إلى الشماليين)) حتّى "بندار" قد عرف هذا عنّا.

أكثر بعداً من الشمال، ومن الثلج، ومن الموت، ثمة حياتُنا وسعادتنا.

إننا لَنكشف السعادة، ونعرف الطريق، ونصادف المخرج من ألفيّات كاملة من المتاهة.

من ذا صادفه أيضاً؟ ألعلّه الإنسان الحديث؟

---

(1) Pindaro , xodapitica 29-30، الشماليون هم طرف العالم.

((لا أعرف ماذا أفعل؟ .. أنا بالكليّة من لا يعرف لا مَدخلاً ولا مخرجاً)) هكذا يدمدم الإنسان الحديث متشكياً.

ومن هذه الحداثة نحن مرضى، من السلام المتعفّن، من التسوية الجبانة، ومن الصلاح القذر للنعم واللا الحديثتين.

هذه المسامحة ووسع القلب، التي تعذر الكلّ لأنّها ((تتفهّم)) الكلّ، هي ريحُ الجنوب الشرقي[1] التي تهبّ علينا.

ولأفضل أن يعاش في الثلج من أن يُعاش تحت الفضائل الحديثة، ورياح أخرى من الجنوب.

كنّا شجعاناً كفاية، ولم تكن بنا من رأفة لا بذواتنا ولا بالآخرين، لكن عبر زمن متطاول لم نكن نعرف إلى أين نتّجه ببسالتنا: صرنا معتمين، ودُعينا قدريّين.

مصيرنا كان الامتلاء، التحفز، وتكديس القوّة، كنّا متعطشين للاندفاع يترامى بصواعقه، وللأفعال، وبقينا الأبعد عن السعادة، سعادة الضعفاء، وعن الاستكانة.

ثمّة عاصفة تهبّ في أجوائنا، وطبيعتنا تُظلم، لأننا لم ندرك أيّ طريق.

---

(1) sirocco لأوروبي هي الرياح الجافّة والحارّة التي تهبّ من صحاري شمالي أفريقية محمّلة بالغبار أو الرمل على جنوب أوروبا ــ وفي استخدام نيتشه لها معنى مزدوج البلاغة.

وَصفَةُ سعادتنا: موافقة بنعم، رفضٌ بلا، خطٌّ مستقيم، وغاية.

ـ 2 ـ

ما هو الخير؟

إنّه كلّ ما يُربي الشعور بالقوّة إرادة القوّة، والقدرة ذاتها داخل الإنسان.

ما هو الشرّ؟

إنّه كلّ ما يتأتى عن الضعف.

ما هي السعادة؟

الشعور بأنّ القوّة تتنامى، وأن المقاومة تُتجاوز. ليس أنها الرضى، بل قوّة أزود؛ ليس السلام، ولا بأية طريقة، لكنّما الحرب؛ لا الفضيلة، بل الكفاءة ((فضيلة بالمعنى الذي لعصر النهضة[1]. فضيلة بلا "أخلاق ــ سطحيّة زائفة")).

الضعفاء والفاشلون يجب أن يهلكوا:

---

(1) إشارة إلى المفهوم الأساسي عند ماكيافيلي. فالفضيلة هي القوّة الخلاّقة للرجال العظماء الذين عبر هذه الفضيلة وبالتنظيم الحكيم الذي يوطّدونه، يستطيعون رفع مستوى أواسط الرجال.

تلك هي القاعدة الأساسية في حبّنا للإنسان.

وفوق ذلك يجب أن تقدّم لأولئك المساعدة كي يهلكوا.

ما الأكثرية أذيّة من كلّ رذيلة؟

فعل الرأفة تجاه جميع الفاشلين والضعفاء: المسيحيّة.

- 3 -

المشـكلة التي أعرضها ليست فيما يمكن للبشرية أن تحقّقه بتتابع الكائنات ((الإنسان غاية)) وإنّما أي نمط من الناس يجب أن يُنشّأ، وأن يُـرتجى ويُنشد كقيمة عظمى وأكثر استحقاقاً للحياة، وأكثر ضماناً للمستقبل.

هـذا الـنمط الأعلى قد وُجد بتواتر، لكن كحالة من حالات المصادفة، كاستثناء وطفرة وليس أبداً كنشدان وتوق؛ وبوضوح أكثر، لقد كان المَخوف، وكان تقريبا التجسيد لما هو مرعب.

وكضـدّ، وكنتاج لهذا الخوف، قد نُشِد وخُلِق وحُصّل النمط المعـاكس، الحـيوان الداجن، حيوان القطيع، الحيوان المريض المدعوّ إنساناً ــ المسيحيُّ.

- 4 -

البشرية لا تمثّل تطوراً نحو الأفضل، أو نحو الأكثر قوّة، أو نحو الأرفع، بالطريقة التي تُعتَقد اليوم.

ولعلّ فكرة الترقيّ فكرة حديثة، بمعنى فكرة خاطئة.

الأوروبيّ اليوم صار أدنى قدراً من أوروبيّ عصر النهضة. التوسـع المتتالـي، لا يعني إطلاقاً، ولا بأية ضرورة، تسامياً وتنامياً واقتداراً.

وبمعـنى آخر مختلف، تحقّقت باستمرار في حالات مفردة، بأماكـن مختلفة من الأرض، وحضارات متنوّعة، نتاجاتٌ فيها بـالفعل يُعبّر عن نموذج أعلى: شيءٌ هو بالنسبة للبشرية كلّها إنسان متفوق ((سوبّر ــ إنسان)).

وحـتى إنّ ذرية كاملة، وجنساً وشعباً، بمكنته أن يُجسّد، إمّا أتاحت له الظروف ذلك، واحدة من ضربات الحظّ تلك.

ـ 5 ـ

يجب ألاّ تزين المسيحيّة أو تُجمّل.

لقـد قامـت بحـرب مسـتميتة ضدّ هذا النمط السامي من الإنسـانيّة، مـبطلة كـلّ غرائزه الأساسيّة، ومن هذه الغرائز اسـتنبطت ما هو شرّ، والشرّير: الإنسان القويّ كنمط مستهجن ((الإنسان المغضوب عليه والهالك)).

لقـد انحـازت المسـيحيّة إلى كلّ ضعيف ومنحطّ وفاشل، وشـكّلت، من مناهضتها لغرائز التّشبّث بالحياة المفعمة، مثالاً، مفسدةً ومسيئة، من خلال ذلك، إلى صميم تلك الطبائع النفسيّة الأكـثر قـوّة، عبر تعليمها لاعتبار القيم العليا المندفعة للنفس خطيئة وضلالات وغوايات.

المثال الأكثر إيلاماً هو هذا:

مثال ضياع *باسكال* الذي اعتقد أنّ عقله مُفسَدٌ بسبب الخطيئة الأصليّة. بينما في الحقيقة كان مفسَداً من المسيحيّة[1].

---

[1] إشارة إلى الفقرة 445 من خواطر باسكال، وهذه هي، من طبعة اللجنة اللبنانـية لترجمة الروائع ترجمة إدوار البستاني: "الخطيئة الأصلية جهالة فـي أعين الناس، ولكنها بهذا وُصِفت. فليس لك إذن أن تأخذ عليّ بُعدَ هذا المعـتقد عن العقل، لأني وافقتك على ذلك، بيد أن هذه الجهالة أحكم من حكمـة الـناس*، ولـولا هذا ماذا عسى أن يقال عن الإنسان إنه هو؟ إنّ ←

ـ 6 ـ

أيّ مشـهد مؤلـم ومرعب هذا الذي تبدّى أمام عينيّ عندما أزحت الستّار الذي يحجب فساد الإنسان!

هـذه الكلمة في فمي هي، على الأقلّ، في منأى عن الريبة، الريبة من أنّها قد تتضمن اتّهاماً أخلاقياً ضدّ الإنسان. مفهوماً ـ كما أريد إظهار هذا مرّة أخرى ـ بتجرّد من الأخلاقية الزائفة، وهـذا حتى الدرجة التي فيها يكون هكذا فساد معدوداً رغم كلّ شـيء وبطـريقة واعـية جـداً، تطلعاً إلى ((الفضيلة)) وإلى ((القداسة))!

وكما يتّضح، فإنني أفهم الفساد بمعنى الانحطاط: وأؤكّد أنّ كـلّ القـيم التـي تلخّص الآن تطلعات البشرية العليا، هي قيم انحطاط.

مجمل حاله منوط بهذه النقطة التي تفوق البصيرة. فأنّى له أن يتبينها بعقله فيما هي مضادة للعقل؟ وهل لعقله أن يبتدعها بطرقه وهو الذي يبتعد عنها إذا عرضت له؟"* إلماح من باسكال إلى كورنثوس1 1:25 " لأن مستجهل الله أحكم من الناس، ومستضعف الله أقوى من الناس"

إنني أدعو فاسداً: الحيوان، أو النوع، أو الشخص عندما يضيّع غرائزه، مختاراً ومؤثِراً ما هو مضرّ به. إنّ تأريخاً عن ((المشاعر السامية)) وعن ((المثُل الإنسانية)) ـ ولعلّ من الممكن أنّه يجب عليّ أن أرويه ـ يمكن أن يكون إيضاحاً حول لماذا بات الإنسان فاسداً إلى هذا المقدار.

حتى الحياة ذاتها أعدُّها غريزة تنامٍ، وبقاء، وتجميع للقوّة، وغريزة اقتدار: وحيث تعوز إرادة القوّة فثمّة انحطاط.

وتأكيدي هو أنّ كلّ هذه القيم السامية للبشرية تفتقر إلى هذه الإرادة، وأنّها قيم ساقطة، وقيم عدميّة، تحقّق قدرتها في ظلّ الاسم الأكثر تقديساً.

- 7 -

بدين الشفقة يدعون المسيحيّة.

الشفقة والرأفة هي في الجانب المضادّ للانفعالات المحرّضة التي ترفع طاقة الشعور الحيوي، وبهذا فإنها تنتج تأثيراً مُثبّطاً.

عند الإشفاق تُضيّع القوّة.. وعبر الشفقة يتنامى ويتولّد أكثر فأكثر خسران القوّة التي بها تكون الحياة محتملة. الاحتمال نفسه يصاب بالعدوى المُمْرِضة من الشفقة.

وفي ظروف معيّنة يمكن أن تَحصل خسارة عامّة للحياة وللطاقة الحيوية، تُصادف في علاقة باطلة غير معقولة مع مقدار أهميّة السبب (حالة موت الناصري).

هذه هي وجهة النظر الأولى، لكن ثمّة أخرى بعد هي أكثر أهمية.

إمّا قيست الشفقة بحسب قيمة ردود الأفعال التي تستحثّها، حينها فإنّ سجاياها الخلقيّة الخطيرة المضادّة للحياة، تبدو تحت ضوء أكثر وضوحاً بكثير.

الشفقة في عمومها تتجرّأ على قانون التطوّر الذي هو قانون الانتخاب.. تحافظ على الذي قد صار مهيّأً لغروبه، تكافح لأجل المحرومين في الأرض، والمدانين من الحياة.. وتعطي الحياة ذاتها، عبر استبقائها في الحياة لوفرة من الخائبين من كلّ جنس، هيئة كاسفة ومريبة.

لقد اجترئ على أن تُدعى الشفقة فضيلة (وهي التي تُعدّ في أيـة أخـلاق نبـيلة ضعفاً)[1] وذُهب إلى أبعد من ذلك بإنشاء الفضيلة منها، وجعلها الأرضيّة والأصل لكلّ فضيلة، لكن فقط — وهذا ما يجب أن يظلّ دائماً مأخوذاً في الحسبان — من خلال نظر فيلسوف عدميّ، قد كتب فوق مِجَنّه شعار إنكار الحياة.

شوبنهور بسببها كان إزاء هذا: عبر الشفقة أنكر الحياة، ومن خلالها جعلها أكثر مستحَقيّة للإنكار.

الشفقة هي ممارسة العدميّة[2].

أقـول مرّة أخرى: هذه الدوافع المثبطة للعزم، والمُمْرِضَة، تتجرأ على تلك الغرائز التي ترمي كغاية إلى حفظ الحياة، وإلى زيادة وإعلاء قيم الحياة.

وإنّهـا — بالطـريقة ذاتها — بمقدار ما تُكاثر البؤس كونها حامية للبؤساء، فإنّها أداة أساسية في تضخيم الانحطاط.

---

[1] يجـتمع فـي الأصـل فـي هذه الكلمة المعنى المزدوج للأرستقراطية والفضيلة، وفي كتابه أصل الأخلاق المقطع 10 يقول نيتشه "إنّ كلّ أخلاق أرستقراطيّة تولد من تأكيد فخور بذاتها، بينما أخلاق العبيد ترفض كلّ مالا يشكّل جزءاً من ذاتها" ويريد نيتشه هنا الاستجابة الفعلية مقابل ردّ الفعل.

[2] فـي كتابه الأساس ((العالم كإدراة وتصوّر)) IV: /66 يقابل شوبنهور بين الحبّ والعاطفة ويؤكد أن الحبّ يقود إلى التخلي التام عن إرادة الحياة، وهذا يعني، عن الرغبة. [P].

الشفقة تقود إلى اللاشيء، ولا يقال اللاشيء بل الأفضل أن يُقال ((الأبعد)) ((العالم الآخر)) أو ((الله)) أو ((الحياة الحقيقيّة)) أو ((النرفانا)) ((الخلاص)) ((المجد)).

هـذه الـبلاغة البريئة المتأنيّة من مملكة الجبلّة الأخلاق — دينيّة، تبدو حالاً على أدنى قدر من البراءة عندما يُفهم أيُّ نزوع ينضوي تحت عباءة هذه الكلمات الرفيعة:

النزوع المضادّ للحياة. شوبنهور صار معادياً للحياة: وبهذا قد حُوّلت الشفقة إلى فضيلة.

كمـا هو معروف، فإن أرسطوطاليس رأى في الشفقة حالة مرضيّة وخطرة، يجب أن تُعامل، حيناً بعد حين، بالتطهير. لقد فهم التراجيديا كمطهّر[1].

من خلال غريزة الحياة يتوجّب البحث فعلاً عن تدبير يمكّن مـن وخـز البثرة المتقيّحة المُمْرِضَة والخطرة، كما تتمثّل في حالـة شـوبنهور (وكذلـك — ياللبؤس — كما تتمثّل في عموم انحطاطـنا الأدبي والفنّي من سان بطرسبرج إلى باريس ومن تولستوي إلى فاغنر) وخزها حتّى تنفقئ.

---

[1] إنّهـا نظـرية التطهـير المعروفة. ففي كتابه "فن الشعر" يرى أرسطو التراجيديا تقليداً لفعل نبيل وأنها بمساعدة الشفقة والخوف تؤدي إلى التطهّر من هكذا انفعالات (1449 b 27-28)

ليس ثمّة ما هو أقلّ معافاة، داخل حداثتنا القليلة الصحّة، من الشفقة المسيحيّة.

إنــه شــأننا أن نصبح هنا أطبّاء، ذوي قلوب لا ترحم، وأن نستخدم السكّين.

إنّ هذه هي خصوصيتنا، وهذه هي طريقتنا في محبة البشر، وبها نكون فلاسفة، نحن الشماليين.

- 8 -

إنّه لمن الضروري أن نقول من هو الذي نشعر به عدوّاً لنا. إنهم اللاهوتيّون وكلّ من يحملون في أجسادهم دماً لاهوتيّاً. إنهم كل فلاسفتنا.

توجد ضرورة لرؤية شؤمهم رؤية قريبة، ولمن الأفضل أن يُختـبر ويعايش من داخله، وأن يصار إلى حافة الموت بسببه، حتّى لا تُقتبل أيّة ممازحه في هذه النقطة (حريّة التفكير لبحاثتنا فـي الطبيعة وفي علم النفس هي عندي دعابة ثقيلة، إذ ينقصهم الإحساس بهذه الأمور والمعاناة بسببها).

ذلك التسمّم قد وصل أبعد جداً ممّا يُعتقد؛ لقد صادفت في كلّ غريــزة الغطرســة اللاهوتــيّة، حيــث يعــدّ اليوم الناسُ ذلك المــتغطرس ((كمثالــي))، وحيــث بواسطة حجّة أصلٍ رفيع، يُطالَب بحقّ النظر إلى الحقيقة في جوٍّ مُتعالٍ وغريب.

المثالــي علــى ذات المساواة مع الكاهن، يملك في يده كلّ المفاهــيم الكبيرة (وليس في يده فقط)، ويتنازل ليواجه باحتقار ((الملكــة العقلــيّة)) و ((الأحاسيس)) و((الرفعة)) و((الرخاء)) و((العلــم))، وإنّه ليرى أموراً كهذه، دونه، ويراها قوىً مؤذية ومغوية، وفوقها جميعاً يطفو ((الروح)) في حريّة ذاتيّة خالصة ـ كما لو أنّ الطاعة والعفّة والفقر، وبكلمة واحدة: القداسة، لم تتسـبّب إزاء الحياة حتّى الآن بأضرار تفوق أن تحصر، أكثر من أي رعب ورذيلة.

الروح الخالص كذبة خالصة.

طالمــا أنّ هــذا الكاهن، هذا الرافض، هذا الواشي والمسمّم المحترف للحياة يظلُّ معتبراً كنمط أعلى للإنسان، فإنّ السؤال: ما هو الحقّ؟ لا يمتلك إجابة.

الحقيقة تنقلب، بأرجل إلى فوق، عندما يُعدُّ المدافع الحصيف عن العدم وعن الإنكار كممثّل للحقيقة.

- 9 -

على هذه الغريزة اللاهوتيّة أنا أعلن الحرب:

لقد وجدتُ آثار اللاهوتيين في كلّ الأنحاء.

مــن تجــري في عروقه الدماء اللاهوتيّة، فإنّه يتّخذ مسبقاً موقفاً ملتوياً وغير مخلص تجاه جميع الأشياء.

الشَفقة الرائية ((pathos)) التي تُنمّى من هنا، تُدعى إيماناً: إغــلاق الأعين دائماً عن كلّ ما يقابلها حتّى لا تعاني من رؤية البــاطل الــذي لا يمكــن أن يعالج! وانطلاقاً من هذه النظرية الشــائهة تنشأ أخلاقيّة وفضيلة وقداسة تجاه كلّ الأشياء، ويُشدّ الضمير الصالح ويربط إلى هذا النظر المنحرف.

يُقتضـــى أنّ أيــة نظرة أخرى مخالفة لا تستطيع أن تمتلك قيمة، من ثمّ، ما لم تكن في ذاتها، ومع تلك الأسماء لــ ((الله)) و((الفِداء)) و((الأبديّة)) قد كُرّست ككليّة القداسة.

إنني أنبش مُظهراً ــ أنّى وجدتها ــ غريزة اللاهوتيّ:

إنّها الشكل الديماسي (التحت أرضي) الخاصّ بالبهتان، ذلك الذي هو الأكثر انتشاراً في الأرض.

الذي يعدّه اللاهوتي حقيقة يجب أن يكون زائفاً:

بهذا تقريباً يُمتلك معيارٌ للحقيقة.

إنّها غريزته العميقة لحفظ الذات، التي تمنع أن يغدو الواقع هــو المشرّف في أي موضع، أو أن يمتلك المبادرة و الأولوية في الكلام.

إلــى حيــثما يصل تأثير أولئك اللاهوتيّين، فإن حكم القوّة يصــبح مقلوبــاً، ومفاهيم ((الحقيقي)) و((الزائف)) تغدو حتماً واقفة على رأسها[1].

مــا هــو أكثر إساءة للحياة يُدعى هنا بالحق، والذي يعليها ويسمو بها ويثبّتها ويبرّئها ويجعلها منتصرة يُدعى باطلاً...

وإذا ما حدث ومدّ اللاهوتيون يداً إلى القوّة عبر ((ضمير)) السادة أو ((الشعب)) فلسنا نشك أصلاً فيما يجري دائماً:

إرادة النهاية، إرادة العدم، تريد أن تمتلك القدرة.

- 10 -

يفهمنــي الألمان توّاً عندما أقول أنّ الفلسفة قد باتت مُفسَدة بدماء اللاهوت.

---

[1] في الأصل. يقصد أنها تغدو مقلوبة.

الراعي الروتستانتي هو جدّ الفلسفة الألمانية، والبروتستانتيّة هي خطيئتها الأصليّة.

تعريف البروتستانتيّة: فالجٌ نصفيٌ في المسيحيّة، وفي العقل.

فقط عبر النطق بهذه الكلمات ((Tubinger Stift))[1] ((مدرسة توبينجه الإكليركيّة)) ثمّة كفاية لمعرفة ما هي في الأساس الفلسفة الألمانية: لاهوت مستترٌ مخادعٌ.

السوابيّون ((البافاريّون)) هم أمهر الكاذبين في ألمانيا .. إنّهم يكذبون بكلّ براءة.

من أين اندفعت الغبطة الغامرة، مع مجيء "كانط"، منساحة فوق كلّ عالم الدكاترة الألمان المكوّن في ثلاثة أرباعه من أولاد الكهنة والمعلّمين؟

من أين ذلك الاقتناع الألماني، الذي إلى اليوم يُسمع صداه، بأنّه بدءاً من "كانط" قد حدث انعطافٌ نحو شيء أفضل؟

الغريزة اللاهوتيّة داخل الحكماء الألمان تنبأت بما يعود ليصير ممكناً... الطريق السرّي نحو المثال القديم صار مفتوحاً؛

---

[1] هذه المدرسة كانت معدودة معقلا راسخاً للبروستانتيّة في فورتمبرج والسواب. أسست في 1547 وفيها درس كبلر، وهيغل، وشيلينج، والشعراء هولدرلين وإدوارد موريك ودافيد فريدريك شتراوس والمنظّر الجمالي فريدريك تيودور فيشر، وآخرون [P].

فكرة ((العالم الحقيقي))، فكرة الأخلاق كجوهر للعالم (وهذان الخطآن اللعينان، هما أسوأ ما وجد بين الأخطاء كلّها) الآن، ومجدّداً، بفضل ارتيابيّة ماكرة دهياء، إمّا كانا غير قابلين للإثبات، فإنّهما ليسا يدحضان.

العقل، وحقّ العقل، لم يصل إلى بُعد كبير.

الواقع الحقيقي جعل شكلاً ((ظاهراتيّة))، وعالمٌ هو بالكليّة كاذبٌ وباطل؛ وعالم ((الشيء في ذاته)) ابتُدع محوّلاً إلى حقيقة!.

نجاح "كانط" هو ببساطة نجاح اللاهوت، لأن "كانط" وبالمساواة مع *لوثر* و*ليبنز* كان عائقاً إضافياً أمام النزاهة الألمانية، التي لم تكن في ذاتها وافرة الصلابة بعد.

- 11 -

كلمة أخرى إضافيّة ضدّ "كانط" كأخلاقيّ.

كلّ فضيلة يجب أن تكون ابتداعاً شخصيّاً، ودفاعاً ذاتياً عميقاً وضرورياً: وفي أيّ اعتبار آخر فإنّها تتمثل خطراً.

الـــذي لا يوائم حياتنا يضرّ بها: الفضيلة التي تتأتّى فقط من الشُعور بالاحترام تجاه فكرة الفضيلة، كما أرادها "كانط"، هي أذيّة.

((الفضيلة)) ((الواجب)) ((الخير ذاته))، الخير بصفات غير شخصانيّة، بقيمة عموميّة، تلك هلوسات يعبّر بها عن الانحطاط، والإرهاق النهائي في الحياة، ورعاعية كونجسبرغ[1].

المقابل هو الذي يُقدّم من القوانين العميقة للحفاظ على الحياة والنموّ: أنّ كُلاً يبتدع فضيلته الخاصة، وأمره القطعي: ينقرض شعبٌ عندما يؤسس واجبه عبر فكرة الواجب العامّ.

لـيس ثمـة ما يدمّر أكثر عمقاً وأكثر عُتوّاً من الواجب اللا شخصيّ، ومن تقديم الأضاحي أمام مولوخ التجريد[2].

كـيف أن الأمـر القطعي[3] عند "كانط" لم يُشعر به كخطر أخلاقي؟! لقد حدث أنّ غريزة اللاهوتي وحدها من قام بحمايته.

(1) تـدلّ علـى تجمّع من السفلة والأوباش، ويستخدم نيتشه هذا المصطلح كإشارة تحقيرية لأمانوئيل كانط.

(2) مـن آلهة الكنعانيين، وكانوا يتقرّبون إليه بأطفالهم ويحرقونهم أحياء.. وإبّـان حصـار قرطاجة عام 307 ق.م أحرق على مذبحه مائتا غلام من أبناء أرقى الأسر.

(3) الأمـر القطعي (المطلق) عند كانط تجده مفصّلاً في الفصل الثاني من تأسيس ميتافيزيقيا الأخـلاق (ت. د عـبد الغفار مكاوي) ويقيمه على

إنّ فعـلاً مدفوعاً من إرادة الحياة يمتلك في الفرح ما يبرهن على أنه فعلٌ صحيحٌ وحقّ.

مع ذلك، فهذا العدميّ ذو الأحشاء المسيحيّة ـ الدغمائيّة، قد فهم الفرح كمعارضة[1].

ما الذي يدمّر بسرعة أكثر من العمل، التفكير، الشعور، بلا ضـرورة داخلـيّة، بـلا أيّ اختيار شخصيّ عميق، بلا فرح، كإنسان آلي مسيّر بالواجب؟

هذا بكلّ تأكيد هو الطريق إلى الانحطاط، وحتّى إلى البلاهة. "كانط" تحوّل إلى أبله. وقد كان معاصراً لـ "جوته"!

شـؤم العنكبوت هذا قد عُدّ الفيلسوف الألماني. وحتّى الآن يُعَدّ هكذا.

ميتافيزيقيا أخلاقية مفصولة عن الوقائع وعن الفطنة (بحسب مفهوم أرسطو لها في كتابه الأخلاق إلى نيقوماخس). "افعل كما لو كان على مسلمة فعلك أن ترتفع عن طريق إرادتك إلى قانون طبيعي عام" ص6.

(1) استزد بكـتاب نيتشه أصل الأخلاق فحين يتحدّث نيتشه عن المشكلة الأخلاقية يعجب من تعريف كانت للجمال بأنّه ذاك الذي يثير إعجابنا دون أن يخالط هذا الإعجاب أية فائدة أو هوى. ويقول نيتشه معقباً: "بلا هوى!. قـارنوا هـذا الـتعريف بـتعريف ستندال الذي سمّى الجمال مرّة بشرى بالسعادة".

سأكون متنبهاً في القول بما أفكّر فيه تجاه أولئك الألمان. ألعلّ "كانط" لم يرَ في الثورة الفرنسية التحوّل من الشكل اللا عضوي للدولة إلى الشكل العضوي؟

ألم يسأل إذا كانت قد وجدت حادثة واحدة يمكن أن تكون مشروحة ومفسرة إلاّ عبر تنظيم أخلاقي للبشرية، الأمر الذي يبرهن نهائياً ميلَ البشرية وتوجهها نحو الخير؟

جواب "كانط" ((هذه هي الثورة)).

– الغريزة غير المؤكّدة والملتبسة في كلٍّ وفي أي شيء من الأشياء؛

– المضادة للطبيعة، كغريزة؛

– الانحطاط الألماني كفلسفة:

هذا هو "كانط".

ـ 12 ـ

إمّا صرفت النظر عن بعض الشكاكين، الذين يمثلون النمط المحترم في تاريخ الفلسفة، فإنّ البقيّة لا يعرفون المتطلبات الأوّلية للنزاهة العقليّة.

كلّهم يتصرفون كالأنسات؛ كلّ هؤلاء المشعوذين الخياليين والوحوش الخرافيّة، ينظرون إلى المشاعر الجميلة كافتخار، وإلى الصدر المرتفع ككير للألوهية، وإلى الاقتناع التامّ كأساس للحقّ.

في آخر الأمر يحاول "كانط"، وبلطف ألماني، أن يعطي لهذا الشكل من الفساد، لهذا الشحّ في الضمير العقلي، ملامح علمانيّة بواسطة فكرة ((العقل العملي))، مبتدِعاً سراعاً سبباً معلّلاً وحجة لتلك الأحوال التي يتوصّل فيها المرء ألاّ يملك ما يهتمّ معها بالعقل، أي، عندما الأخلاق، عندما الأمر الرفيع ((واجباتك)) تغدو مسموعة ومُصغىً إليها.

إذا عُدّ عند كلّ الشعوب تقريباً، أن الفيلسوف ليس سوى امتداد للنمط الكهنوتي، فعندها ليس بمفاجئٍ لنا هذا الجزء من ميراث الكاهن، هذا الغشّ تجاه الذات:

عندما يمتلك واجبات مقدّسة، وعلى سبيل المثال، تحسين وإنقاذ فداء البشر، وعندما يحمل الألوهة داخل صدره، ويكون هو المذيع للأوامر المتعالية، فإنّه ـ مع هكذا دعوة وتبشير ـ يصير خارج كلّ القيم التي في نطاق العقل، ويكون فضلاً عن ذلك مقدّساً عبر هذه الواجبات! ويصبح أيضاً شخصاً من نمط عالٍ!

بماذا يهمُّ العلمُ الكاهنَ؟!

إنّه فوق العلم بكثير!

والكاهن مازال مسيطراً حتّى الآن.

إنّه هو من قرّر مفاهيم ((الحقيقي)) و ((الباطل)).

- 13 -

لا نستخفنّ بهذا: نحن ذاتنا، الأرواحَ الحرّة، محوّل للقيم،وإعلانٌ فيزيقيّ حيّ للحرب، وللغلبة على كلّ المفاهيم القديمة للحقيقي واللا حقيقي.

إنّها الانتصارات الأكثر قيمة تلك التي تصادَف في وقت متأخر؛ غير أنّ ما هو أكثر فخريّة بينها هو تلك المناهج.. كلّ المناهج وكلّ فرضيّات علمانيّتنا العقليّة اليوم، عانت الاحتقار العميق ضدّ كيانها لآلاف السنين، وبسببها كان الرجل يُنفى ويستبعَد من معاملة الناس الشرفاء، معدوداً كـ ((عدوّ لله)) كمحتقرٍ لـ ((الحقيقة)) ومزدرٍ لها، وكمن به مسّ. وكمتصف بسجيّة علميّة فإنّ الواحد كان يُعدّ Chandala ((أحقر

الطبقات))[1]. لقد عانينا من كلّ العواطف القلبيّة المشفقة Pathos كضدّ لذواتنا. وكلّ مفهوماتها عمّا يجب أن تكون الحقيقة، وخادم الحقيقة، وكلّ ((واجباتك)) ، كانت موجّهة ضدّ ذواتنا.

موضوعاتنا، فعاليّاتنا، طريقتنا الصامتة والفطنة والمتشككة، كلّ هذا بدا للبشرية غير جدير، وغير أهل بالتقدير.

---

[1] أتت الشاندالا من إحدى قبائل الهند القائمة في البنغال الشرقيّة.. هذه القبيلة تشكّل الطبقة الأكثر حطّة، وقد عوملت في الكتب والأشعار بالنعوت الأكثر تحقيراً.. ونيتشه يأخذ وصفهم من كتاب لويس جاكوليوت عن التشريعات الدينية عند مانو، موسى،ومحمّد الصادر في باريس سنة 1876 حيث يقول عن الشاندالا: ((إنهم ثمار البغاء وزنى المحارم والانحراف (وهذه هي النتيجة اللازمة لمفهوم العقاب الجسدي).. وفي اللباس عليهم أن يرتدوا فقط أسمالاً، وللآنية فقط يستعملون جفاناً مكسورة، وللزينة حديد قديم، وللعبادة الدينيّة فقط الأرواح الخبيثة؛ ودون سلام، عليهم أن يرتحلوا من مكان إلى مكان؛ وممنوع عليهم أن يكتبوا من اليسار إلى اليمين أو أن يستعملوا اليد اليمنى للكتابة، إذ أنّ استعمال اليد اليمنى والكتابة من اليسار إلى اليمين أمر محفوظ للأفاضل وذوي النسب)). [P] في شفق الأوثان ((الذين يريدون إصلاح البشرية بند 3)) يعود نيتشه ويذكر أغلب ذلك.

ويمكن أخيراً ــ لأجل الإنصاف ــ التساؤل عمّا إذا لم يكن شعوراً جمالياً في الأصل هو الذي ترك البشرية في هكذا عمىً متطاول الأمد.

هــذا يقتضــي مــن الحقيقة فعلاً تصويرياً، وبالمقدار عينه يقتضي من البحّاثة المنقّب أن يمتلك تحكّماً قوياً بالمشاعر.

تواضُعنا غبرَ أمداً متطاولاً في مناهضة للذوق.

آه! كيف تنبأت بذلك ديوك الله الروميّة!

- 14 -

لقــد أعدنــا تصحيح المفاهيم. لقد عدنا متواضعين في كلّ الحقــول. إنــنا لــم نعــد نشــتق الإنسان من ((الروح)) ومن ((الألوهية))، وإنما صرنا نضعه بين الحيوانات.

إننا نعدّه الحيوان الأكثر قوّة، ذلك أنه الأكثر دهاءً.

إحدى نتائج ذلك هي عقلانيّته.

من جهة أخرى، إننا نحترز من باطل يريد أن يجعل صوته مســموعاً هــنا أيضــاً: إنّه ذاك الذي بمقتضاه يصبح الإنسان المقصد العظيم الكامن للتطوّر الحيواني.

ليس الإنسان، ولا بأي طريقة أو معنى، تاج الخليقة[1].

وإن كلّ كائن من جهته هو على ذات المستوى من الكمال.

وعندما نؤكد هذا، فإننا نؤكد كذلك زيادةً: أنّ الإنسان، نسبيّاً، هــو الحيوان الأكثر فشلاً، الأكثر مرضاً، والأكثر ابتعاداً بشكلٍ خطِرٍ عن غرائزه. وطبعاً، ومع كلّ هذا، هو الأكثر إثارةً!

فيما يتعلق بالحيوانات، فإنّ "ديكارت" كان الأوّل الذي بجرأة تستأهل التقدير، اجترأ ونظر إلى الحيوان كما لو أنّه آلة[2].

كــلّ فيزيولوجيّتنا اجتهدت لإثبات هذه القضيّة، لكننا لم نعد نستثني الإنسان ــ طبعاً ــ كما فعل "ديكارت":[3] إذ كلّ ما هو

---

[1] فــي النســخ الــثلاثة التي بين يديّ يستعمل كلمة ((Creacion)) أي الخلــيقة أو المــبروءات أو البَرِيّة، ورجل علماني يجب أن يستخدم كلمة كائــنات حيــث لا تدلّ على خالق بل على الطبيعة، لكن نيتشه هنا يستخدم هــذا التعبير اللاهوتي بقصد نقضه، وهذا يظهر في كلمة كائن في العبارة التالية.

[2] يقــول ديكارت: ((الحيوان بوصفه ساعة تحكمها اللوالب والدواليب)) المنهج لإحكام قيادة العقل، القسم5.

[3] يقصد قول ديكارت: ((لأنني لم أجد بعد الكفر بالله.. ضلالاً أشدّ إبعاداً للــنفوس الضــعيفة عــن طريق الفضيلة المستقيم، من أن يتوهم الناس أنّ للــبهائم نفوساً من طبيعة نفوسنا))، المنهج، القسم5. وواضح هنا أن نيتشه قــد فهم طبيعة نظر ديكارت إلى الحيوان بوصفه آلة، كونها خطوة لتأكيد تفرّد الإنسان عنه وامتلاكه روحاً مقابل آلية الحيوان، وهو ما ينقده نيتشه.

معـــروف اليوم عن الإنسان يؤدّي بالضبط إلى النقطة التي يُعَدُّ فيها ماكينة.

وقبلاً قد ادُّعيَ أنّ الإنسان عطيّةٌ متأتية من نظام أسمى، هو الإرادة الحــرّة: الـــيوم نحنُ نقصي حتّى الإرادة بالمعنى الذي يوجب ألاّ تكون بعد معدودة بوصفها ملَكة.

الكلمـــة القديمـــة ((إرادة)) تصـــلح فقط لتشير إلى مفاعيل ونـــتائج، نوعاً من ردّ الفعل الشخصي الذي يستجيب ضرورة لمقدار من الحوافز المتعارضة في جزء والمتوافقة في آخر.

الإرادة لم تعد ((تفعل))، لم تعد ((تتحرك))..

قبلاً، نُظِرَ في ضمير الإنسان، وفي روحه، دليلاً على أصله العلـــوي، وعلـــى ألوهيـــته. لجعل الإنسان كاملاً، نُصحَ، على طـــريقة الســـلحفاة، أن يصرف أحاسيسه إلى داخل ذاته قاطعاً علاقـــته بالأرض، وأن يتجرّد من قشرته الفانية: فما يتبقى منه هكذا إلاّ الأصلي، ((الروح الخالص)).

حـــول هـــذا أيضـــاً تأمّلنا جيداً مقوّمين التصوّر: تحصيل الضمير و((الروح))، يعني لنا بدقّة عَرَضاً من نقص نسبيّ في الكائن العضويّ، محاولةً، وتَحَسُّسَ عاشٍ، ضلالاً، وعملاً راهقاً فيما يستنفذ بغير ضرورة الكثير من الطاقة العصبيّة.

إنـــنا لنـــنكر أن يكون ثمّة ما يُبلغ به الكمالَ في حين يُعمل بضمير.

الروح الخالص جهالة خالصة.

إمّا طَرَحنا من الحسبان النظامَ العصبيّ والحواس، ((القشرة الفانية)) فإننا نخطئ في الحساب، ولا أكثر.

- 15 -

لا الأخـــلاق ولا الدين في المسيحيّة يلامسان الواقع في أية نقطة.

– دوافع خيالية محضة:

("الله"، "النفس"، "الأنا"، "الروح"، "الروح الحرّة" .. أو كذلك "الجبرية".).

– مفاعيل خيالية محضة:

("الخطيئة"، "الفداء"، "النعمة"، العقاب"، "غفران الخطايا".).

– علاقة بين تكوينات خياليّة:

("الله"، "الروح"، "النفس".).

– علوم طبيعة خياليّة:

(مركـزيّة الإنســان داخـل الكون، مع غياب كلّي لمفهوم الأسباب الطبيعيّة).

– علم نفس خيالي:

(فهـم خاطئ كليّة للذات، تمثيلات لمشاعر عامّة مُرضية أو غـير مُرضـيه، وكمثال: حالات العصب السمبثاوي "العصب الوديّ"، مع مساعدة من اللغة الإشاريّة لطبع أخلاق – ديني – "الـتوبة"، "تأنيـب الضـمير"، "غواية الشيطان"، "قرب مجيء الربّ").

– غائية[1] خياليّة:

("مملكة الرب"، "الحساب الأخير"، "النعيم الأبدي").

هذا العالم الوهمي، الخالص الوهميّة، يتميّز، وبسوء واضح، عن عالم الأحلام، لأنّ هذا الأخير يعكس عالم الواقع، بينما ذاك البطلان وخسف القيمة، والإنكار.

بعـد إحداث مفهوم ""الطبيعة" كمفهوم مضادّ "لله""، فإنّ كلمة "طبيعي" جعلت مترادفة مع "مذموم أو مستنكر".

---

[1] Teleologia بالمعـنى الحديـث الذي أعطاه كريستيان وولف (1679-1754): "ذلـك الجزء من فلسفة الطبيعة الذي يشرح غايات الأشياء يمكن أن يدعى الغائيّة" [P].

كلّ عالم الوهم ذاك يمدّ جذوره في الكره المقابل لكلّ ما هو طبيعي (حقيقي).

إنّـه التعبـير عن نفور عميق من الواقع الحقيقي. لكن بهذا يغدو كلّ شيء مفسَّراً.

مـن الذي يمتلك الدوافع للتهرب بكذبة من الواقع؟ إنّه الذي يكابد ويعاني منه.

لكنّ المعاناة من الواقع تعني وجود واقع غير ذي توفيق.

هذا الرجحان لمشاعر النفور على مشاعر المسرّة هو السبب في تلك الأخلاق وتلك الديانة الوهمية الصورية:

هكذا رجحان مع ذلك هو وَصْفَة الانحطاط.

- 16 -

إنّ نقـداً للمفهوم المسيحي عن الله يحملنا إلى إظهار نتيجة مطابقة.

إنّ شعبنا يثق بنفسه، يمتلك كذلك إلهه الخاصّ، وفيه يحترم الظـروف التي بواسطتها بات في الأعلى، ويوقّر فضائله.. إنّه

يخلق سعادته بذاته، وشعوره بالقوّة، في كينونة يمكنه أن يتوجّه إليها بامتنانه.

من هو غنيّ يتشوّق إلى العطاء. وشعبٌ فخورٌ يستشعر الحاجة إلى إله كي يزجي إليه قرابينه.

الدين بمقتضى هكذا مقدّمة هو شكل من الشكران.

ثمّة من يكون ممتناً لذاته، ولأجل ذلك يحتاج إلى إله.

هكذا إله يجب أن يكون قادراً على الإنعام والإساءة، وفي حالاتٍ من وجوده يكون صديقاً وعدوّاً، وينال الإعجاب في الخير كما في الشرّ.

إنّ خصاءَ الله، المضادّ للطبيعة، يُصنع منه فقط إله للخير، سيكون إزاء هكذا أفكار خارج كل ما هو مستحبّ.

فالمرء يحتاج تماماً إلى إله شرير بمقدار ما يحتاج إلهاً صالحاً، كما إلى أن لا يُرهن الوجود الذاتي إلى المسامحة والإنسانيّة بكلّ تأكيد.

بأي شيء يفيدُ إلهٌ لا يعرف الغضب والانتقام والحسد والسخرية والمكر والعنف، والذي حتّى لا يعرف الأوار الساحر والاضطرام الخلاّب للغلبةِ والتدميرِ الهدّام؟

إله كهذا لا يمكن أن يُفهَم ماذا يُفيد شعباً أن يحتازه؟

بكلّ وضوح وتأكيد: إذا انهار شعبٌ، وإذا بشكل قطعي بات يشعر أنّ إيمانه بالمستقبل، وأمله بالحريّة، اضمحلّ، وإذاً، إذا ارتدّ والتفت إلى الوثوق بأنّ الخضوع هو النافع الأوّل، وبأنّ فضائل الرضوخ هي مستلزَم الحفاظ على الحياة، حينئذ: فإنّ إلهه يجب أن يتغيّر.. يصبح منافقاً مرائياً هيّابة، متواضعاً ناصحاً بسلام النفس وبترك البغْضاء، وبالمسامحة وبالمحبّة للصديق كما بالمثل للعدوّ.. يعظُ مهذباً الأخلاق دون توقّف، ينسحب إلى كهف الفضائل الذاتيّة، يتحوّل إلى إله للجميع، إلى شخص، على الخصوص، يتوافق مع كلّ العالم.

في أزمان أخرى، يمثّل الله شعباً، وعزم شعب، وكلّ عدوانيّة وتعطش ذات ذلك الشعب للقوّة.

الآن، وبالكاد هو فقط الإله الصالح.

في الواقع، لا يوجد بدائل أمام الآلهة:

إمّا أنهم إرادة قوّة، وخلال ذلك يكونون آلهة شعوب..

أو أنهم بطريقة تالية عجزٌ عن القوّة. ومن ثم يصبحون بالضرورة أخياراً صالحين.

- 17 -

حيثما تنحرف إرادة القوّة بأي شكل، فثمّة في الوقت عينه خوَرٌ فيزيولوجيّ، انحطاط.

ألوهة الانحطاط، تلك المجرّدة من، والمخصيّة في، فضائلها وغرائزها الأكثر حيوية، تتحول ــ لابدّ ــ إلى إله للمنحطين المتدهورين فيزيولوجيا، للضعفاء.

وهؤلاء لا يدعون أنفسهم "ضعفاء" بل "طيبين".

وإنّه مفهومٌ، دون حاجة إلى علامة لاحقة، في أيّة لحظة من التاريخ أمكن أن يتحقّق الوهم المضاعف لإله صالح وآخر شرير.

ومع الدافع ذاته الذي به يُحدر المقهورون إلههم إلى الإله الطيب في ذاته، يجرّدون إله الغلاّبين من خصاله الجيّدة.

إنهم لينتقمون من أسيادهم محوّلين إله هؤلاء إلى شيطان.

الإله الصالح مثل الإله الشرير: كلاهما طرْحُ انحطاط.

كيف أمكن إلى اليوم أن يُسلّم لبلاهة اللاهوتيين المسيحيين إلى حدّ أن يُقرّر معهم أنّ التطوّر اللاحق لمفهوم الله، بدءاً من

(إله إسرائيل)، من إله شعب، إلى إله مسيحي ــ هو خلاصة جوهرية للخير ــ يكون ترقّياً؟!

حتى *"رينان"* نفسه يفعل هذا، كما لو أن رينان يحق له أن يكون أبلهاً![1]

ـ المناقض يقفز إلى النظر.

إذا ما ظروف الحياة الصاعدة المترقيّة ومتطلباتها، وإذا كلّ ما هو قويّ، قيّم بجسارته، سياديّ، شامخ أنوف، بقي مستبعداً من مفهوم الله، وإذا الله شيئاً فشيئاً تحدّر ليصبح رمزاً لعصا المتعبين وعكّازهم، ولعوّامة إنقاذ لكلّ من يغرقون، وإذا تحوّل إلى إله ــ الفقراء، وإلى إله الخطأة، إله للمرضى المثاليين من أعلى نمط متميّز، والمحمول "مخلّص" و"فادي" يبقى ــ إن جاز القول ــ محمولاً إلهيّاً على العموم، فإذاً عن أيّ شيء يتحدث هكذا تحوّل، هكذا خسفٌ للألوهي؟

واضحٌ: ((مملكة الله)) تنمو هكذا.

في زمنٍ ماضٍ لم يكن الله يمتلك غير شعبه، ((شعبه المختار))، لكن من ثمّ، وبالمساواة مع شعبه، مضى صوب الغريب، وتغرّب، ومنذ ذلك الحين لم يقدر بعدُ أن يبقى ساكناً

---

[1] يشير نيتشه إلى كتاب رينان "حياة يسوع" الذي تُظهَر فيه هذه الحيلة كتنامٍ يجري وفق قوانين باطنيّة [p].

في مكان واحدٍ، حتّى إنّه أخيراً قد صادف بيته في كل النواحي، هــو المواطــن العالمي الأكبر، وامتلك من جهته الرقم الأكبر ونصف البشرية.

لكــن إله ((الرقم الأكبر))، هذا الإله الديمقراطي بين الآلهة، لم يتحوّل رغم هذا إلى إلهِ فخور وثني:

لقــد اســتمرّ يهوديّــاً، وإلهَ زوايا.. إله كلّ القراني المعتمة والأماكن المظلمة، والأحياء الوخيمة، للعالم الكامل!

مملكته العالميّة بقيت معدودة، كما قبلاً، مملكة للعالم السفلي، ومصــحّة، مملكــة تحت أرضيّة ــ سردابيّة، مملكة (جيتو)... وبقــي هو نفسه، بالغ الشحوب، بالغ الضَعف، ومنحطّاً... حتّى الأكــثر شحوباً بين الشاحبين، أسياد الميتافيزيقيا، أولئك المُهق الأفكار قد تسيّدوا عليه[1].

لقــد حــاكوا حولــه نســيج العنكبوت وقتاً كافياً، حتّى نُوّمَ مغناطيســياً مــن حــركاتهم، وحــتّى انتهى بدوره ليصير إلى عنكبوت[2] إلى ميتافيزيقي.

---

(1) الأمهــق أبــيض الجلد كالجصّ، والشَعر كذلك عموماً. ويقصد الأفكار الشاحبة التجريديّة.

(2) لعــبٌ في الأصل على الكلمات Spinne = عنكبوت، Spinozae= سبينوزا [p]

مــن الآن ولاحقــاً، ينسجُ ــ مُجدّداً ــ العالمَ، خارج ذاته. [نموذج اسبينوزا].

من الآن وصاعداً، فإنّه يتجلّى مبدئياً هيئته في كينونةٍ كلّ مرّةَ هي أكثر شحوباً وتجريداً،

يــتحوّل إلــى ((مــثال أعلى))[1] إلى ((روح مجرّدة)) إلى ((مطلق)) إلى ((شيء في ذاته)).

انهيار إله وتحطّمه: الله يتحوّل إلى ((شيء في ذاته))[2].

- 18 -

---

(1) يقول كانط في ((نقد العقل المجرّد)): الجدل الاستشرافي الفصل الثالث، المبحث الأول: في المثال الأعلى بصورة عامة:"إنّ ما هو بالنسبة لنا مثال أعلى، كان في لغة أفلاطون، مثالاً أعلى لذهن إلهي، وهو موضوع إفرادي حاضر بالنسبة لزكانته، وهو الأشدّ كمالاً من كلّ نوع من الكائنات الممكنة، والنموذج الأصلي لجميع النسخ الظاهراتية" [ترجمة أحمد الشيباني عن دار اليقظة]

(2) الشيء في ذاته عند كانط لا يكاد يختلف عن المُثل عند أفلاطون ويكفي أن تــنظر فــي تأسيس ميتافيزيقيا الأخلاق ص113 ترجمة الشيباني قول كــانط: "نعــترف ونســلم بوجود شيء آخر وراء الظواهر ليس هو نفسه ظاهرة ونعني به الأشياء في ذاتها"

المفهوم المسيحي عن الله، الله كإله للمرضى، الله كعنكبوت، الله كـروح، هو واحد من المفاهيم الأكثر فساداً حول الله، التي شُـكّلت فوق الأرض، وبالإضافة إلى ذلك، لعلّه يُمثّل المستوى الأكثر انخفاضاً في مجرى التطوّر المنحدر لنمطيّة الآلهة.

الله متدنّـئ ليصير مناقضةً للحياة، بدلاً من أن يكون تجليّها الممجّد، وأزليتها الموطّدة.

في مفهوم الله، تُعلن وتُذاع العداوة للحياة، وللطبيعة، ولإرادة الحياة!

الله صـيغةٌ لكـلّ النمائم الكاذبة عن (الدنيا) ولكلّ كذبة عن (الآخرة).

في الله يؤلّه العدم، وتُقدّس إرادة العدم.

- 19 -

واقع أنّ السلالات العتيّة لأوروبا الشماليّة لم تشمئز في ذاتها متنكرة للإله المسيحي، لم يشرّف مزاياها الدينيّة، حتّى لا نتكلّم على ذوقها.

لقـد كـان يجـب أن يتخلّصوا من جهيض الانحطاط هذا، الممراض والمتساقط.

ولكـن إذا لـم يـتحرّروا منه فإنّه يثقل فوقهم، ذلك أنهم لم يمـتلكوا القوة للتخلص منه: لقد جمّعوا داخل دوافعهم المرضَ والشيخوخة والتناقض؛ ومن حينها لم يعودوا لخلق أيّ إله.

قرابة ألفيتين، ولا حتّى إله واحد!! إنّما وحتّى الآن، بالمقابل، وكمـا عن حقّ ذاتي، وكأمر ختاميّ وأقصى من القوّة الخلاّقة للآلهة ومن الروح المبدع المُخلِّق، قد ساد على البشر هذا الإله المؤسـف للتأليهـيّة حتى الرتيبة المسيحيّة! هذا النغل المنتَج من الانحطاط، المستنبط من الصِفر، والذي هو مفهوم مُناقَضة، فيه قد وجَدتْ كلّ غرائز الانحطاط وكلّ جبانة، وكلّ تعب الروح، صِداقَها.

- 20 -

لست أريد بحكمي ضدّ المسيحيّة، أن أرتكب إجحافاً ضدّ دين قريـب مـنها، ويتفوّق عليها بالعدد الأكبر من الرهبان، أعني البوذيّة.

كلاهما ــ كدينين ينتميان إلى العدميّة ــ دينا الانحطاط.

لكنهما يختلفان فيما بينهما بالطريقة الأكثر تمايزاً.

إمّا حدث اليوم إمكان مقارنتهما، فإنّ نقد المسيحيّة يدين بالفضل العميق، للحكماء الهنديين.

البوذيّة مئة مرّة أفضل من المسيحيّة.

إنّها تحمل داخل كيانها ميراث عرض المشكلات بطريقة موضوعيّة وباردة، والمتأتي إثر قرون من حركة فلسفيّة.

مفهوم الله يتمّ تجاوزه عند ظهوره. والبوذية في قرارتها هي الدين الوحيد السلبي بحق الذي يظهره لنا التاريخ، لا بل إنّه في نظريته المعرفيّة (ظاهراتيّة[1] صارمة) لا يعلن ((الصراع المجاهد ضدّ الخطيئة))، وإنّما، مسلّماً تماماً بالحقّ للواقع، يعلن ((الصراع ضدّ المعاناة)).

إنّه، تاركاً وراءه المخاتلة الذاتيّة للمفاهيم الأخلاقيّة، وهذا ما يميّزه جذرياً عن المسيحيّة، يصير ــ متحدثاً بلغتي ــ أبعد عن الخير والشرّ.

الفعلان الفيزيولوجيان اللذان تنهض البوذية وتقوم فوقهما وتأخذهما بالنظر المراقب هما:

---

(1) هــذا يحيل إلى نظرية كانت التي بموجبها يمكن للأشياء فقط أن تُعرف فقط كما تظهر لنا وليس كما هي في ذاتها، أي الشيء في ذاته.

1- قابليّة استثارة شديدة في الحساسية، تظهر كقدرة مرهفة للألم.

2- روحنة عنيفة، وحياة بالغة الطول في مفاهيم وسُلوكيّات منطقيّة، والتي تحت نطاقها عانت الدوافع الشخصيّة من التضييع والغبن في نفع الدوافع اللا شخصيّة.

(كلا الحالتين، على الأقلّ بعضٌ من قرّائي ((الموضوعيين))، وعلى مثال ما أعرف أنا، يعرفونهما من التجربة).

لقد شكلت هذه الظروف الفيزيولوجيّة أصلاً لانحطاط وتدهور:

ضدّه "بوذا" يتقدّم بوسائط الصحّة، وفي مواجهته يستخدم الحياة في الهواء الطلق، الحياة الجوّالة، البساطة والاختيار في الطعام، الحذر تجاه كلّ المشروبات الروحية، وذات الحذر من كلّ الأفعال التي تبتعث الصفراء، وتجعل الدم يغلي... ليس ثمّة اهتمام ولا انشغال بال، لا لأجل الذات، ولا لأجل الآخرين. إنّه يقتضي أحاسيس، هادئة أو سعيدة.

وقد أوجد تدابير للابتعاد عن الأخرى المناقضة.. لقد فهم الدماثة، والصيرورةَ دمثاً، كمفضلٍ ومحسن إلى الصحّة .. والصلاة تغدو مُبعَدَة، كما الشك. ليس من أمر مطلق، وفوق

الكلّ لا ضغط، ولا حتّى ضمن جماعة ديريّة (التي يمكن النكوص والخروج منها).

كلّ هذه كانت إجراءات لتشديد الحساسية التأثرية الوسيعة. وللسبب عينه، فإنّه لا يقتضي صراعاً أيّاً كان ضدّ الذين يفكّرون بطريقة مباعدة. وليس تنهض عقيدة بوذا ضدّ أيّ شيء كما ضدّ مشاعر الانتقام، والكراهية، والضغينة ("العداوة لا تنتهي عن طريق العداوة": هذا هو المثل المؤثّر في المشاعر عند البوذيّة).

بحقّ: فإنّ هذه المؤثرات الوثيقة تكون كليّة هادّة للصحّة في نظام تغذية أساسي.

التعب الروحي الذي يصادفه بوذا، والمعبر عنه في ((موضوعيّة)) بالغة الكبر (وهذا يعني ضعف المنفعة الشخصيّة، وفقد مركز الجذب، وفقد الأنانيّة) يحاربه بالتركيز المتشدّد على الفرد، وعلى تلك المنافع الأكثر روحانيّة.

في عقيدة بوذاء الأنانيّة الذاتيّة مموضعة كواجب: الـ "كيف تتحرّر من المعاناة" الذي هو "الأمر الوحيد الضروري"[1] يحدّدان وينظمان كلّ الحميّة والنظام العقلي.

(لعلّه يكون سانحاً لنا تذكر ذلك الأثيني الذي صنع حرباً على العلميّة المحضة، ورسمُ موازاة معه، "*سقراط*"، الرافع للأثرة الشخصيّة ــ ضمّن مملكة المشكلات ــ إلى مستوى الأخلاق)[2].

[1] انجيل لوقا 10:41 "فأجاب يسوع وقال لها: مرثامرثا أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة* ولكن الحاجة إلى واحد" ونيتشه يستعمله بطريقته.

[2] يقول نيتشه في "شفق الأوثان" مشكلة سقراط:9: "لكن سقراط تكهّن بأمر آخر. رأى ما وراء الأرستقراطية الأثينيّة. عرف أنّ حالته، أنّ جبلّة حالته، ليس بعد حالة استثنائية. والنوع نفسه من الانحطاط يُهيّأ بسكون في كلّ الأنحاء: أثينا العجوز تمضي إلى نهايتها. وسقراط علم أنّ كلّ العالم به حاجة إليه .. إلى علاجه، إلى طبه.. إلى احتيالة الشخصي لأجل حفظ الذات.." عن الطبعة الإسبانية لشفق الأوثان، اليانزا، في مدريد.

- 21 -

الظروف التمهديّة للبوذية هي مناخٌ لطيفٌ، وحلاوةٌ عظيمة وتحــرّر في العادات، وغياب كلّي للعسكرية، وواقع أنّها تملك بؤرتها في المراتب العليا كما في مراتب العلاّمين.

إنّها تتطلّب كفاية قصوى السلام الهادئ، الطمأنينة الساكنة، والغياب الكلّي للابتغاء. وغايتها قد حُصّلت.

البوذية ليست ديناً حيث يُنتظر هكذا فقط الكمال، بل الكمال فيها هو العاديّ.

فــي المســيحيّة تظهر إلى المستوى الأول قبل الكلّ غرائزُ المخضَــعين والمضيّق عليهم. وإنهم تلك الطبقات الأكثر حطّة التي تبحث في المسيحيّة عن الخلاص.

هــنا كتشاغل، وكعلاج ضدّ السأم، تُمارس مساءلة الضمير حول الخطيئة، النقد الذاتي، التحقيق التفتيشي مع الضمير.

هــنا الحنين إلى قدير ــ يدعى الله ــ يتماسك "عبر الصلاة" باستمرار واقفاً على قدميه.

هنا العالي يُفهم كما لا يمكن أن يوصل إليه، كعطيّة، كنعمة، هنا كذلك ينقص العلَن[1].

المخــبأ والركــن المظلم هما مسيحيّان، هنا يُحتقر الجسد، وتُرفض مراعاة الصحة بعدّها شهوانيّة.

الكنيســة تقاوم حتّى النظافة (المعيار الأوّل على المسيحيّة بعــد طــرد المسلمين كان إغلاق الحمامات العامّة، التي كانت قرطبة وحدها تملك منها 270 حماماً).

المسيحيّ معنى مؤكد على الفظاظة والقسوة ضدّ ذاته، وضدّ الآخريــن، وعلــى البغضاء ضدّ من يفكّرون بطريقة مختلفة، وعلى إرادة الاضطهاد.

أفكار ظلاليّة ومهيّجة تشغل المحل الأوّل. والحالات الأكثر توقاً إليها، والمعينة بالأسماء الأكثر سموّاً، هي حالات الصرع.

نظام التقشف المختار بهكذا طريقة يخدم المظاهر المرَضيّة ويُهيج بشكل فائق الأعصاب.

المسيحيّة عداوة حتّى الموت ضدّ أسياد الأرض وجبابرتها، وضــدّ "النــبلاء"، ومنافسة مستترة وسريّة (إنّها لتهجر الجسد، وتريد فقط النفس).

---

[1] بمعنى العمومية.

المسيحي هو بغضاء لشرف النفس، والفخر، والجبروت. إنه ضدّ الحريّة، وضدّ التحرّر الروحي؛ المسيحي بغضاءٌ معادية للأحاسيس، وضدّ سرور الأحاسيس، وضدّ الفرح في النهاية.

- 22 -

عندما تركت المسيحيّة مكانها الأوّل، وطبقاتها الاجتماعيّة الدنيا، والعالم التحتي للعالم القديم، عندما مضت باحثة عن القوّة بين الشعوب البربرية، لم تملك في تنظيمها رجالاً متعبين إذاً، وإنّما داخليّاً وحشيين مقهورين؛ الرجل القويّ إنّما الفاشل.

عدم الرضى عن الذات، والمعاناة بسبب من الذات، ليس هو في هذه المنطقة كما داخل البوذيّة حساسية مفرطة، وقابلية شعور زائدة بالألم، وإنّما الأوضح بالعكس، رغبة قويّة لتسبيب الألم، وتفريغ التوتر الداخلي في أفعال وتخيلات وأفكار عدائية.

وُجِدت في المسيحيّة حاجة لمفاهيم وقيم بربرية لتصير سائدة على البرابرة: كما هي الحال مع التضحية بالبكر، شرب الدم

في المناولة، احتقار النباهة الذهنيّة والثقافة، العذاب في كلّ أشكاله، الجسدية[1] والعقليّة، والأبهة ذات العظمة للعبادة.

البوذية ديانة الناس المتخارين، والأجناس البَلهنيّة التي صارت دمثة لطيفة مفرطة الروحيّة، وتستشعر الألم بسهولة (إنّ أوروبا ليست حتّى الآن، ولا بأدنى قدر، ناضجة للبوذية).

البوذية إرجاع لهذه الأجناس إلى السلام والغبطة الهادئة، إلى الانضباط الروحي، إلى حالة غير ذات غلظة في الجسد.

المسيحيّة، بالمقابل، تبتغي التحكّم في حيوانات القطيع. ووساطتها لأجل بلوغ ذلك أن تحوّلهم إلى مرضى.

الإضعاف هو الوصفة المسيحيّة للـ "التدجين" وللتمدّن.

البوذية دين لنهاية وتعب المدنيّة؛ بينما المسيحيّة ولا حتّى تلتقي أمامها بمدنيّة، وإنها تؤسسها في بعض الأحوال.

- 23 -

إنّ البوذية، أقول مجدداً، هي مئة مرّة أكثر برودة وأكثر صدقاً وموضوعية.

---

[1] عبر الحواس.

إنّهــا ليست بحاجة لتبرير معاناتها، وحساسيتها تجاه الألم، عبر تأويل الخطيئة. إنّها فقط تقول ما تفكّر به: "أنا أعاني".

عــند البربري، بالمقابل، المعاناة في ذاتها غير مقدّرة أبداً، وثمّة نقصٌ مؤكّدة في الإعراب لنفسه بما يعاني (غريزته تشير عليه، بالأحرى، أن ينكر المعاناة، ويحتملها في صمت).

وهــنا فإنّ كلمة "الشيطان" تكون عمل تعزية حقيقيّة، إذ به يُمتلك عدوّ جبّار ومرهِب، وليس ثمّة ما يُخجِل من مكابدة عدوّ كهذا.

المسيحيّة تمتلك في قراراتها بعض المراءات المخادعة التي تنتمي إلى الشرق. وفي المكان الأول تعرف أنّه سيان أن يكون أمــرٌ حقيقياً أو غير حقيقي، وإنّما الأهميّة الكبرى تجاه ذلك أن يعتقد المرء بحقيقته.

الحقِــيقة والإيمــان بحقيقةِ أمر: هما عالمان متضادّان من أهمــيّات غريبة إحداهما عن الأخرى؛ شبه عالمين متعاكسين، يُقصد كلّ منهما عبر طريقين مختلفين بالكليّة. ومعرفة هذا كان تقريــباً خلاصة الحكمة في الشرق: هكذا فهمه البراهمة وهكذا فهمه أفلاطون وكلّ تلامذة المعرفة الباطنيّة.

وإذا ــ كمــثال ــ وُجــدتْ ســعادةٌ في الاعتقاد بتحرّرٍ من الخطيــئة، فإنّ هذا لا يقتضي كمقدّمة منطقيّة أن يكون الرجلُ خاطئاً حقاً، بل أن يحسب نفسه خاطئاً.

لكــن ــ فوق الكل ــ إمّا احتيج إلى الإيمان فحينئذ يتوجّب نفــي الــثقة بالعقل والمعرفةِ والتقصّي[1]؛ والطريق نحو الحقّ يصير طريقاً ممنوعاً.

الرجاء المكين، هو حافز أكثر قوّة إلى الحياة من أية سعادة حقيقيّة ممارَسة.

من يعانون يجب أن يُسنَدوا بالرجاء الذي لا يمكن لأيّ واقع أن يجعله باطلاً، ولا لأيّ إنجاز أن يرمي به جانباً، إنه الرجاء بالآخرة. (وبالتأكيد، وبسبب هذه القدرة على إسلاء التعساء فإنّ الأمل والرجاء، بنظر اليونان، يعني شر الشرور، الشرّ الخوّان بحــقّ، وقرارة صندوق الشرور)[2] لجعل المحبّة ممكنةً، يجب أن يصــير الله إنســاناً، وحــتى تبقى تلك الدوافع الأكثر حطّة مصانةً، يجب على ذلك الإله أن يكون شاباً. ولأجل حميّة النساء يجب أن يوضع في الواجهة قديسٌ حلوٌ، وعذراءٌ لأجل الرجال. هــذا يوطّــد الافتراض بأنّ المسيحيّة قد طمحت للسيطرة على

---

[1] هذا علامته في عبارة تورتليانس: أؤمن لأنه مستحيل.

[2] الإشارة هنا إلى صندوق باندورا.

بقـــاع كانت فيها عبادات *أفروديت* و*أدونيس*[1] قد عيّنت مفهوم العبادة.

إنّ ضرورة العفاف تُشدّد الحُميّا وعمقَ الدّوافع الدينيّة، لأنها تجعل العبادة أكثر حرارة وتمجّداً وحساسية.

الحــبّ حالـــة فيها الرجل، على الأغلب، يرى الأشياء كما ليســت هــي. القـــوّة الخدّاعة هي هنا في ذروتها، بمثل القدرة المعسولة المغيّرة للهيئة.

من يحبّ يحتمل على العموم أكثر، ويسامح بالكليّة.

لقــد وجب ابتداع دين يمكن فيه أن تكون ثمة محبّة: وهكذا فإنّ المرء يعلو على جميع سوءات الحياة، ولا حتى يشعر بها.

لأنّ هذا يتعلق بالفضائل المسيحيّة الثلاث: الإيمان، والمحبة، والرجاء. تلك التي أدعوها أنا بالحذاقات المسيحيّة.

---

(1) لا داعي للإطناب في تفصيل أسطورة أدونيس وأفروديت فهي معروفة. المهمّ رمزها إلى دورة الطبيعة والجفاف وعودة الخصب. وإنه وإن اختلفت الأسـماء بين تموز وأدونيس وأتيس وإيزيس فإنّها وكما يقول جيبون تدور كلّها على ذات العبادة. راجع فريزر جزء أدونيس من كتابه الغصن الذهبي وما فيه من تفاصيل لانتشار هذه العبادة حتّى كانوا في هيكل يهوه ينوحون عليه باسم تموز.

الـــبوذيّة بالغة النضج ووضعيّة على نحو كافٍ، كيلا يمكنها أن تكون "حكيمة" على هذه الطريقة.

- 24 -

هـــنا فقط أريد أن ألامس مشكلة نشوء المسيحيّة. والاقتراح الأول لحـــلّ ذلك يقول: المسيحيّة يمكن فهمها فقط انطلاقاً من الأرض التي نشأت فيها.

إنهـــا ليســت انتهاضـــاً ضدّ الفطرة اليهوديّة، بل بالعكس، نتيجتها ذاتها، ومنطقها الهيّاب مؤدّىً به إلى خاتمة لازمة.

وفي وصفة المخلّص نفسه: ((الخلاص يأتي من اليهود))[1].

الوصـــفة الثانـــي تقـــول: النمط النفسي **للجليليّ** مع كونه معـــروفاً، لكـــنّما فقط في انحطاطه الكياني التام (الذي هو في الوقـــت عينه بتر وتجسيد لحشد من الملامح الغريبة) يمكنه أن يصلح لما لأجله قد كُرّس، لأجل نمطٍ من فادٍ للبشرية.

كـــان اليهود الشعبَ الأكثر فرادة في تاريخ العالم، ذاك أنهم تجـــاه التســـاؤل عن الوجود أو العدم قد فضّلوا باقتناع كلّي لا

---

(1) يوحنا4:22

يـتزعزع الوجود بأي ثمن: وهذا الثمن كان جعل الطبيعة كلّها زائفة، وتزييفَ كلّ ما هو طبيعيّ، وواقعي، وتزييف كلّ العالم الداخلي على ذات طريقة تزييف العالم الخارجيّ.

راسمين حدّاً ضد كلّ الظروف التي أمكن للشعوب بموجبها أن تحـيا، والتي أتاحت لها حتّى حينها أن تبقى، خلّقوا انطلاقاً من أنفسهم مفهوماً مناقضاً للظروف الطبيعيّة.

هـم قلبوا بالتدريج الدينَ، والعبادة والأخلاق، والتاريخ وعلم النفس بطريقة لا يمكن علاجها، ومناقِضة لقيمها الطبيعيّة.

نصادف هذه الظاهرة مرّة أخرى، وبظروف واضحة تماماً، مـع أنّهـا على كلّ حال فقط نسخة محضة: الكنيسة المسيحيّة تفـتقر بالمقارنـة مع شعب المباركين إلى كلّ ادّعاء بالأصالة. فأكيدٌ بسبب هذا أنّ اليهود هم الشعب الأكثر شؤماً في التاريخ.

في تأثيرهم اللاحق خلّقوا الإنسانيّة الأكثر زيفاً، حيث مع أنّه إلـى اليوم يشعر المسيحيّ بذاته في مناقضة لليهوديّة، إنما دون أن يدرك كونه النتيجة الأخيرة لليهوديّة.

في سلالات النسب التي وضعتُها للأخلاق[1]، قدّمت نفسيّاً ــ للمـرّة الأولـى ــ مفهـوم التعارض بين أخلاق أرستقراطيّة

[1] في كتابه أصل الأخلاق.

وأخـلاق حـاقدة، وهذه الأخيرة تنبثق من ((اللا)) المعلَنة تجاه الأولى: لكن هذا بشكل كامل هو الأخلاق اليهود ــ مسيحيّة.

وحـتّى يكون ممكناً قول لا لكلّ ما يمثل النشاط المتصاعد للحـياة، وللتناغم المفلح، والعزم، والجمال، وتوكيد الذات على الأرض، فـإن طـبع الحقـد، يتحول بدهاء، ليبتدع عالماً آخر انطلاقاً من إظهار ذلك التأكيد للحياة كشر، وكأمر مستهجن في ذاته.

منطلقاً من منظور نفسي، فالشعبُ اليهودي هو شعب ذو قوّة حيوية متعنّتة، والذي إذا وجد تحت ظروف غير محتملة، انحاز بعـزم، انطلاقـاً مـن قرارات ذكائه، إلى حفظ ذاته، وإلى كلّ غرائـزَ الانحطاط، لا كمحكوم بها بل لأنّه توسم فيها قوّة تعينه كي يفرض وجوده تجاه العالم.

اليهود هم في المكان المعاكس لكلّ المنحطين: لقد أمكنهم أن يمـثّلوا دور المنحطّيـن حتّى نقطة خلقِ الوهم بأنهم منحطون، وقـدِروا مـع الـلا المنكرة للآخرة، يعلنها ممثّل عبقري، أن يضَعوا أنفسهم في رأس زاوية كلّ حركات الانحطاط (كمسيحيّة *بولس*) لكي تُمتلك القدرة على أن تخلق منهم شيئاً أكثر قوّة من أي مذهب آخر يؤكد الحياة.

عند هذا النمط من الناس الذين ـ في المسيحية واليهودية ـ يتوقون إلى القوة عبر طريقة كهنوتية: فإنّ الانحطاط هو فقط وسيلة.

هذا النمط له مصلحة حيوية في جعل البشرية مريضة، وفي قلب مفاهيم ((خير)) ((شرّ)) ((حقيقي)) ((باطل)) بشكل خطر على الحياة ومفترٍ على العالم.

- 25 -

تاريخ إسرائيل يملك قيمة لا تقدّر كتاريخ نمطي لتغيير طبيعة القيم الطبيعيّة؛ سأشير إلى خمسة أعمال في هذا.

بدئياً، وقبل أيّ شيء في أزمان الملوك، إسرائيل ساندت علاقة صحيحة مع كلّ الأشياء، هذا يعني علاقة طبيعيّة، "ويهوه ـ هم"، كان تعبيراً عن ضمير القوّة، وعن الفرح ذاته، وعن الأمل المكنون فيه: منه يُنتظر النصر والخلاص، ومعه يُوثق بالطبيعة كي تعطي الشعب ما يحتاج إليه؛ وفوق الكلّ المطر.

"يهوه" هو إله إسرائيل، بالنتيجة إله للقضاء: هذا هو المنطق لكلّ شعب في حالة قوة ويمتلك إدراكاً جيّداً بهذه القوّة.

في احتفالات العبادة تجلّى هذان المظهران لتأكيد الذات عند الشعب:

إنّه مغتبط وممتنّ بالأقدار الكبيرة التي بفضلها قد امتلك القوّة، وممتنّ لاتّصاله بتتابع الفصول وتوفيقه في تربية المواشي وفي الزراعة.

حالة الأشياء هذه بقيت لزمن طويل معتبرة كمثال، وكذلك عندما صارت زائلة بطريقة محزنة: بسبب الفوضى في الداخل وبسبب الآشوريين من الخارج. لكن الشعب بقي يغذي كرغبة قصوى (وأمل أسمى) رؤيا ملك هو جنديّ حقّ وحكم صارم. وبالإضافة إلى ذلك احتفظ بذلك النمط النبوي (والذي يعني الانتقاد والتقريع في الحال) والذي يدعى *أشعيا*.

لكن كلّ الانتظار بقي غير مرض. الإله قد هرم ولم يعد يقتدر بعدُ أن يفعل شيئاً ممّا كان قبلاً مقتدراً على فعله. لقد وجب أن يترك وشأنه. ماذا حدث؟ مفهومه تغيّر ـ وبدّلت طبيعته ـ وبهذا الثمن استُمسك به.

يهوه إله القضاء لم يعد بعد كوحدة مع إسرائيل وكتعبير عن الشعور الذاتي لشعب، لكن فقط كإله مشروط بالأحوال.

مفهومه تحوّل إلى أداة في أيدي الكهنة المثيرين للفتنة، الذين من الآن وصاعداً، فسّروا كلّ سعادة كأنّها ثواب وكلّ نكبة

كعقاب لعدم الطاعة للّه، ونتيجة للخطيّة؛ تلك الطريقة التي هي أساســاً الأكثر خداعاً في التأويل، وفي افتراض ((نظام أخلاقي للعــالم))، بهــا، ودائمــاً، تغيّر المفهوم الطبيعي للـــ ((سبب)) و((التأثير)).

إمّا أُبعدت ــ بواسطة المكافأة والعقاب ــ المصادفةُ الطبيعيَة عــن العــالم، فحينها يُحتاج إلى مصادفة مضادة للطبيعة، منذ الآن كلّ ما هو مضادّ للطبيعي يتّبعها.

وهكــذا فمكــان الإله الذي يساعد، والذي يحلّ كلّ مصعبة، ويشير، والذي هو في جوهره يجسّد الفعل لكلّ سعادة ملهمة في الإقدام، وفي الثقة بالنفس، يحلّ إله مُلزِم..

الأخــلاق لم تعد بعد تعبيراً عن ظروف حياة ونمّو شعب، وليســت بعد تمثيلاً لغرائزه الحيوية الأكثر عمقاً، وإنّما تحوّلت إلـــى شـــيء مجرّد، وإلى سوء أساسي في التخيّل، إلى ((عين شريرة)) تجاه كلّ شيء.

مـــا هـــي الأخـــلاق الـــيهودية، ما هي الأخلاق المسيحيّة؟ المصـــادفة تضـــيّع براءتها، والحياة ذات الوفرة تُظهر كغواية خطرة،والجسد المعتلّ يُسمّم بالدودة القارضة، للضمير المؤنِّب.

- 26 -

لم يتوقف الكهنوت اليهودي عند تزييف مفهوم الله، ومفهوم الأخلاق، بل أيضاً:

"لا يمكنـــنا أن نستفيد من كلّ تاريخ إسرائيل، فلنرمه بعيداً". هكذا قال هؤلاء الكهنة.

وهـــؤلاء الكهـــنة يحققون تلك الأعجوبة التزيفيّة التي نجد شهادتها تشكّل جزءاً كبيراً من التوراة:

لقـــد ترجموا إلى دينيّ ماضيَ شعبهم، باستخفاف لا شبيه له بكـــل تقلـــيد، وبكلّ واقعية تاريخية؛ بمعنى أنهم عملوا منه آلية غبيّة لخلاص مؤسّس على العقاب الذي ينزله يهوه بمن أخطأوا إليه، وعلى المكافأة التي تثبّت وتعزّي أولئك الذين يطيعونه.

ولســـوف نشـــعُر بهذا الفعل من التزييف المخزي للتاريخ، بطـــريقة أكـــثر إيلاماً، إمّا لم يكن التأويل الكنسي للتاريخ عبر القرون قد جعلنا لا مبالين تجاه مستلزمات القضايا التاريخيّة.

إنّ الفلاســـفة يقدمـــون عونهـــم للكنيسة: إنّ كذبة ((النظام الأخلاقـــي للعـــالم)) تتسرب عبر كلّ تدرّج الفلسفة حتّى أحدث الفلاسفة.

ماذا يعني ((النظام الأخلاقي للعالم))؟

يعني أنه ــ من بدء الأمر ــ يوجد إرادة إلهية تعيّن ما الذي يجب أن يفعله الإنسان وما لا يجب أن يفعله، وأنّ قيمة شعب أو شخص، في كثير أو قليل، تقاس بمقدار ما تطاع الإرادة الإلهية، وأنّ في مصير شعب أو شخص، تظهر الإرادة الإلهية كمُحاكم، أي كمعاقب أو مجازي، وبحسب درجة الطاعة.

الواقع الكامن وراء هذه الكذبة المؤسفة يعني: ضرباً من البشر المتطفلين، يُفلح وحده في تقييم كلّ الأشياء المقدّسة للحياة.

الكاهن يسيء استعمال اسم الله ويدنّسه: يدعو ((مملكةَ الله)) حالة الأشياء حيث يقرّر هو قيمتها، و((إرادةَ الله)) تلك الوسائل التي بها يُحصّل ويحتفظ بتلك الحالة.

وبكلبيّة ذات دم بارد، يحكم على الشعوب والأزمان والأشخاص بمقياس مساعدتها أو عرقلتها للسيادة الكهنوتيّة.

ليس ثمّة ما نلاحظه أكثر من عمل أولئك الكهنة:

تحت يد الكهنة اليهود، فإنّ الحقبة العظيمة من تاريخ إسرائيل تحوّلت إلى فترة انحطاط.. النفي من مصر، والمصائب المتطاولة شُكّلت بهيئة عقاب أبدي للفترة العظيمة التي كان فيها الكاهن لا يساوي شيئاً.

هم حوّلوا تلك الشخصيّات القديرة والعظيمة الحريّة في تاريخ إسرائيل (وبحسب الضرورة) إلى منافقين بائسين

ومرائين، أو ((كافرين)). لقد بسَطوا ذاتيّة كلّ الأحداث العظيمة، مضائلين إياها في صيغة بلهاء: ((إطاعة الله أو عدم إطاعته)).

خطوة أخرى بعد على هذا الطريق: إرادة الله ــ وهي تعني الظروف التي بموجبها تبقى سطوة الكهنة موطّدة ــ يجب أن تُعرف. لأنّه من أجل هذه الغاية يجب أن يوجد ((تنزيل)).

بالألمانية الواضحة: وجدت حاجة إلى أدبيّات مزوّرة، وإلى اكتشاف ((كتابات مقدّسة))، وفي ظلّ أبهة طقسيّة عارمة تُنشر، في أيّام كفّارة ومع صرخات مُعْوِلة في شكوى من الخطيئة المتطاولة[1].

إرادة الله بقيت ثابتة عبر زمن طويل، لكنّ المصيبة الناكبة كانت أنّ الشعب بقي مبتعداً عن الكتابات المقدّسة.

لموسى قد كشفت ((إرادة الله)).. ماذا حدث؟

بتشدّد وبتنطّع صاغ الكاهن حتّى كلّ كبيرة وصغيرة من الفرائض التي يجب أن تقرَّب، (دون نسيان قطع اللحم الأطيب، ذاك أنّ الكاهن هو أبداً أكّالُ بفتيك نَهِم) وما يريده أن يكون، هو ((إرادةٌ إلهيّة)).

مذّاك، كلّ أمور الحياة تغدو منظمّة بهذه الطريقة التي تجعل الكاهن ضرورة لا غنى عنها.

---

(1) يقصد ما فعله عزرا.

في كلّ مكان، في كلّ أحداث الحياة الطبيعيّة، في الولادة، في الزواج، في المرض، والموت، حتّى لا نتكلم عن الذبيحة (التي للأكل)، يظهر المتطفّل المقدّس لينزع عنها سماتها الطبيعيّة: لـــ ((يقدّسها))!

لأنّه يجب أن نفهم هذا: كلّ عادة طبيعيّة، كلّ تنظيم طبيعي (الدولـــة، المحكمـــة، الـــزواجات، تجنب المرض والفقر) كلّ ضرورة نابعة من غريزة الحياة، وفي النهاية، كلّ ما يملك قيمة فـــي ذاتـــه، يُغيَّر عبر تطفّل الكاهن (أو عبر "النظام الأخلاقي للعالم") إلى شيء يفتقد أساساً إلى القيمة، أو أنّه يضادّ القيمة.

ومن ثمّ فثمة حاجة إلى تصديق، وضرورة لمقتدر مقيِّم، هو منكرٌ للطبيعة ورافضٌ لها في تلك الأمور، وخالق بالتأكيد لقيم.

الكاهـــن لا يقيم وزناً للطبيعة ولا يقدّسها. بهذا الثمن عموماً يبقى.

مخالفة الله، وهذا يعني مخالفة الكاهن والشريعة، تُوصَم الآن باسم ((الخطيئة)).

وسائط العودة للوفاق مع الله، هي بكلّ وضوح، وسائط يبقى معهـــا الخضـــوع للكهـــنة الضمانة الأكثر عمقاً: وحده الكاهن ((يخلِّص))...

منطلقاً من تقييم نفسي، فإنّ ((الخطايا)) عند كلّ شعب منظّم كهنوتـــيّاً تغدو أمراً لا غنى عنه وضرورياً.. تلك الخطايا هي الأدوات الحقيقيّة لبلوغ السلطة، والكاهن يحيى من تلك الخطايا، ويحتاج إلى أن يوجد خطأة.

مـــبدأ أعلى: ((الله يغفر لمن يكفّر عن ذنوبه))؛ وبقول أكثر وضوحاً: يَغفر لمن يخضع للكاهن.

- 27 -

فوق أرضية زائفة إلى هذا الحدّ ـــ حيث كلّ الطبيعة، وكلّ قـــيمة طبيعيّة، وكلّ واقعية، تجد إزاءها، كضدّ، الغرائز الأكثر عمقـــاً لجنس متحكّم ـــ ترفع المسيحيّة شكلاً من بغضاء خالدة تجاه الواقعية بطريقة لم يُتفوّق عليها حتّى الآن.

((الشـــعب المقدّس)) الذي تجاه كلّ الأشياء يحتفظ فقط بقيم كهنوتيّة وكلمات كهنوتيّة وبمنطق متماسك يمكن أن يلقي خوفاً، يفصل عن ذاته ـــ كـــ ((لا مقدّس)) وكـــ ((عالم دنيوي)) وكـــ ((خطيئة)) ـــ كلّ تلك القوى التي مازالت فوق الأرض.

هذا الشعب يستسيغ لدوافعه صياغة أخيرة، منطقيّة حتّى إنكار الذات:

لقد رفض ــ كمسيحيّة ــ حتّى الصياغة الأخيرة للواقع، الشعبَ المقدّس، شعبَ المختارين، أي ذاتَ الواقع اليهودي.

هذه القضيّة هي من الدرجة الأولى: إن الحركة المنتفضة الثائرة الصغيرة، معمَّدةً تحت اسم *يسوع الناصري*، هي مرّة أخرى الغريزة اليهوديّة، وبمصطلح آخر، غريزة الكاهن التي لم تعد تحتمل الكاهن كحقيقة؛ هي الاقتناع بشكل وجود أكثر تجريداً، وبرؤيا أكثر لا واقعية للعالم، وهي لاواقعيّة تجاوز تلك المتضمّنة في تنظيم كنيسة: المسيحيّة تنكر الكنيسة.

لست أعرف ضدّ من وُجّه ذلك التمرّد الذي يعدّ يسوع – صواباً أو خطأ ــ سبباً له، إن لم يكن تمرّداً ضدّ الكنيسة اليهوديّة معطياً للكنيسة بالضبط المعنى الذي نتناوله اليوم في هذه الكلمة. كان تمرّداً ضد ((الصلاح والعدل)) ضد ((قديسي إسرائيل)) ضدّ زعامات المجتمع؛ ليس ضدّ فساده، بل ضدّ السلالة، ضدّ الامتياز، ضدّ التنظيم، والصياغة، كان شكاً بالإنسان الرفيع، وقولة لا في وجه كلّ الكهنة والربّانيّين.

بيد أنّ الزعامة التي وُضعت هكذا في موضع الشكّ والحكم عليها، مع أنّ هذا كان للحظة، كانت: الكوخ المرفوع للشعب

اليهودي فوق المياه، والإمكانيّة الأخيرة العسيرة للتمسك بالبقاء، وبقية وجوده السياسي الخاص المتشبث.

إنّ هجوماً عليها كان هجوماً على الغريزة الأكثر عمقاً للشعب، وعلى الإرادة العنيدة للحياة في شعب لم يوجد له نظيرٌ أبداً فوق وجه الأرض.

هذا الفوضويّ القدّيس الذي دعا أسافل الشعب إلى الانقلاب على النظام المسيطر، ودعا المنبوذين و((الخطاة)) والطبقات الدنيا اليهوديّة- وبلغة، هي في حال التصديق للإنجيليّين، تقود حتّى في يومنا هذا رجلاً للنفي إلى سيبيريا ــ كانَ مجرماً سياسياً، حتّى بالقياس إلى أنّ الجرائم السياسيّة كانت محتملة داخل مجتمع هو بالإطلاق غير سياسي.

هذا ما أوصله إلى الصليب، والإثبات عليه كان اللافتة المعلقة فوق الصليب: مات بسبب خطيئته.

ليس ثمّة سبب للاعتقاد ــ مع تكرار تأكيد هذا ــ أنّه قد مات بسبب خطايا الآخرين.

- 28 -

ثمّـة سـؤال مختلف بالكليّة: إن كان هو حقاً مدركاً وواعياً لهكذا مناقضة، أو أنّه ببساطة قد عُدّ كمناقضة.

وإني لألمس هنا فقط، المشكلة النفسيّة للفادي..

وأعترف بأنني لم أقرأ سوى كتباً قليلة صعبة كما الأناجيل. وهذه الصعوبات هي بعيدة في طبيعتها عن تلك الصعوبات التي بخاصّة التدليل عليها، فإنّ الاستطلاع المثقف للذهنية الألمانية قد أفلح في إحراز واحد من انتصاراته التي لا تُنسى.

بعيدة هي الحقبة التي فيها أنا أيضاً، كما بقيّة الشباب المتعلّم، تذوقـت بعقليّة ذكية متأنيّة لفقيه لغوي حصيف عملَ *"شتراوس"*[1] الذي لا يضاهى. كنت يومها في العشرين من عمري: واليوم أنا بـالغ الجديّـة تجـاه هذه الأمور. فبأيّ شيء تهمّني مناقضات التراث التقليدي؟ وكيف يستطاع أن تُدعى خرافات القديسين تلك تقاليد؟

---

[1] في عام 1864 قرأ نيتشه بحماسة في بون "حياة يسوع" (6- 1835) تأليف دافيد فريدريك شتراوس، اللاهوتي والهيغلي اليساري [P].

حكايـات القديسـين هي الأدب الأكثر التباساً وضلالة الذي أمكن أن يوجد!

باسـتخدام المـنهج العلمي، وفي غياب أيّة شهادات أخرى، تبدو لي أمراً محكوماً مسبقاً:

إنّها مضيعة وقت محضة للفقهاء.

- 29 -

ما يهمّني هو النمط السيكولوجيّ للفادي.

وهذا النمط أمكنه الظهور في الأناجيل رغماً عنها، حتّى لو شـوه وأثقل بالقسمات الغريبة التي للأناجيل: ذاك كما شخصيّة *"سـان فرنسيسكو دي أسيز"* التي يظهر بها في خرافاته رغماً عن تلك الخرافات.

لـيس ما يهمني حقيقة ما فعله يسوع، وما الذي قاله، وكيف مـات فـي الواقع، وإنّما يهمني إن كان نمطه إلى الآن ممكن التخيّل والإدراك، والانتقال بالتقليد.

تلـك المحاولات التي أعرفها بدءاً من قراءة الأناجيل حتّى قصة ((نفس)) تبدو لي دلائل لنفسيّة طائشة مستنكرة.

السيد رينان، هذا المهرج النفساني، أضاف المفهومين غير الملائمين، الممكن تخيلهما في هذا الصدد حول التفسير المتعلق بنمط يسوع: مفهوم العبقري، ومفهوم البطل.

لكن إن وجد ثمّة مفهوم لا إنجيلي فذاك هو مفهوم البطل. ويقيناً، فإنّ المضادّة لكلّ صراع، ولكلّ شعور ذاتي بالصراع تحوّل هنا إلى غريزة وطبع: العجز عن المعارضة والمقاومة ينقلب هنا أخلاقاً. ("لا تقاوم الشر" تلك هي الحكمة الأكثر عمقاً في الأناجيل، ومفتاحها، بمعنى مؤكد).

المسرّة في السلام، والوداعة،وفي عدم القدرة للصيرورة معادياً.

ماذا تعني البشارة؟

الحياة الحقيقيّة، الحياة الأبديّة، توجد ــ لا كوعد، بل كوجود حقّ ــ هنا في نفوسنا:

كحياة في المحبّة، في المحبّة بلا تحفظات، بلا شروط وبلا استبعادات.

الجميع هم أبناء الله ــ ويسوع لم يدّعِ شيئاً لذاته على الإطلاق ــ وكلّ رجل هو كابن لله مساوٍ لكلّ رجل آخر.

جُعل يسوع بطلاً! وأيّ فهم سيء تشير به الكلمة ((عبقري))!

كلّ مفهومنا، كلّ مفهوم حضارتنا عن ((العبقرية)) لا يملك أيّ معنى في العالم الذي عاش فيه يسوع.

وللتكلّم بصرامة عالمٍ بوظائف الأعضاء، فالأكثر صواباً أن تكون بدل كلمة عبقري كلمةٌ مختلفة كليّة: كلمة معتوه.

نحن نعرف حالة من سرعة التهيّج المرضي لحاسة اللمس، حيث يُرتَجف ويُرتدّ أمام أية ملامسة، وأمام فكرة إمساك أيّ شيء صلب.

إنّ عادة فيزيولوجيّة كهذه تترجم إلى نهايتها المنطقيّة، كغريزة بغض ضدّ كلّ واقعيّة، كهروب إلى مالا يُعرف وإلى مالا يمكن فهمه، ككره لكلّ صياغة، ولكلّ مفهوم للزمان والمكان، كضدّ لكل ما هو صلب، معتاد، منظّم، كنيسة، وكشعور ذاتي بأنّها في منزلها عندما تكون في عالم غير ملموس بأيّ نوع من الواقعيّة، عالم فقط هو ذاتيّ جوانيّ، عالم ((حقيقي!))، عالم ((سرمدي))... "ملكوت الله داخلكم"[1].

---

(1) في لوقا 17:20-21 "ولمّا سأله الفريسيون متى يأتي ملكوت الله أجابهم وقال لا يأتي ملكوت الله بمراقبة* ولا يقولون هو ذا ههنا أو هو ذا هناك لأنّ ها ملكوت الله داخلكم" ولكن بعض القراءات تورد بينكم أو قريب منكم، ونعرف أنّ المعمدان ويسوع كانا يعظان باقتراب الملكوت.

- 30 -

الكره الغريزي للواقع: نتيجةٌ لقدرة متطرفة للمعاناة والتهيّج، التي لا تريد إطلاقاً أن تكون ملموسة، لأنّ أي تماس مع الواقع ولمس، يؤدي إلى شعور مفرط وردّ فعل عميق.

الاستبعاد الغريزي للتبغّض، ولكلّ عداوة، ولكلّ محدودية وتَجَاف في المشاعر: ينتجُ من قابلية متطرّفة للمعاناة والتهيّج، والتي تشعر بكلّ مقاومة، وبكلّ ضرورة للمقاومة، كمنافاة للمسرّة لا يمكن احتمالها (هذا يعني: كضرر وتهوّر معاكس في غرائز حفظ الذات) وتدرك الغبطة الممجّدة فقط كتحقّق في عدم ـ المقاومة لأيّ شيء أو لأي أحد، لا للمصيبة ولا للشر، وتدرك المحبّة كإمكانية وحيدة وأخيرة للحياة.

هذان هما الواقعان الفيزيولوجيان اللذان فوقهما وبهما نمت عقيدة الخلاص: إني أدعوها تطوّراً رفيعاً لمذهب اللذّة[1] فوق أرضيّة ممرَضة بالكليّة. وبقرابة باطنية معها، ورغم الدعم

(1) عقيدةٌ بحسبها سعادة ومقصدية الفرد، وبذات الأمر معيار الأخلاق عموماً، توجد فقط في الشعور باللذة.

المقـوّي من الحيوية والطاقة العصبيّة اليونانية، تقوم الأبيقورية[1] التي هي عقيدة الخلاص الوثنية.

أبيقور كان منحطاً نمطياً: لقد كنت الأوّل في معرفة كيف كان. إنّه الخوف من الألم حتّى من أضأل قدرٍ من الألم. وهذا المذهب لا يقدر أن ينتهي بأيّة طريقة إلاّ إلى ديانة المحبّة.

- 31 -

لقد قدّمت فيما سلف جوابي عن المسألة.

وقد تأسس الجواب على هذه المقدمة: أنّ شخصيّة المخلّص قد وصلت إلينا متحوّلة الشكل بقوّة. وهذا التحوّر الشكلي تقوم فيه احتمالية كبيرة: فلأسباب عدّة فإنّ هكذا شخص لا يقدر أن يبقى نظيفاً، كاملاً، حرّاً من التزيّدات.

وكما كان الوسط الذي تحرّك فيه ذا هيئة غريبة، وكذلك، فوق الكلّ، التاريخُ وطبيعة الجماعات البدئيّة المسيحيّة، كان

(1) يذهب أبيقور إلى أنّ اللذّة أساسٌ للسعادة. ولكنّها تلك اللذّة غير المعقوبة بألم وعلى هذا تُقتضى الحكمة. لكن ومادام أبيقور يرى في اللذة خيراً طبيعياً أصيلاً فإنّ الكنيسة رفضته باعتبار هذا النزوع نزوعاً دنيوياً، لكن ما يقوله نيتشه هنا يلقي ضوءاً من جهة أخرى على المسألة بينهما.

واجباً أن تترك آثارها فيه، فلقد انعكست هذه الطبيعة فوقه، وأعطته سمات كان ممكناً أن تدرك فقط في الصراع وفي مرامي الدعوة.

ذلك العالم العجيب والمعتلّ الذي تدخلنا إليه الأناجيل ــ عالم كما لو أنّه متأتٍ من رواية روسية، حيث تبدو قد تلاقت رذالة المجتمع والعاهات العصبيّة، والبلاهة "الطفليّة"[1] ــ وجب على كلّ حال أن يترك ذلك الشخص أكثر رعاعيّة وخشونة:

أولئك الرسل الأوائل، على وجه الخصوص، ترجموا إلى جلافتهم وجوداً يعوم كليّة عبر الرموز والأشياء غير الممكنة الفهم، وذلك للتمكن من فهم شيء عنه.

وعندهم أنّ نمط المخلّص فقط يوجد بعد أن يتمكّن من التواؤم شكلياً مع هيئات معروفة أكثر... النبيّ، المسيح، الحكم الآتي، معلّم الأخلاق، صانع المعجزات، يوحنّا المعمدان، كانوا كذلك إمكانات لعدم التعرّف عليه والخطأ في صورته.

لسنا نستهين في النهاية، بما هو خاصّ بكلّ التوقيرات الكبيرة، وبالأخص بما للتعصّبات: إنّها تمحو من الموجودات المحترمة الملامح والمميزات الأصليّة، التي غالباً تكون مضنية الغرابة،بل إنّها ليست حتّى تراها.

---

[1] إشارة إلى رواية الأبله (1868) لديستويفسكي.

ممّا يؤسف له أن دستويفسكياً لم يحيَ قريباً من الأكثر إثارة بين كلّ المنحطين؛ أعني بعضَ من يمكنه أن يدرك الشعور المؤكد بالتأثير الجاذب لخليطٍ من الرفعة والمرض والطفولية.

نقطة أخيرة للنظر: هذه الشخصيّة فيما يتعلق بالانحطاط، يمكنها أن تكون بالفعل متصفة بتعدّدية ومناقضة فرديّة، وهكذا إمكانية لا يمكن أن تستبعد بالكليّة. مع ذلك كلٌ يغرينا باطّراح هذا وبكل تأكيد، فإنّ التقليد يجب أن يكون في هذه الحالة، وبتميّز، أميناً وموضوعياً، بينما نمتلك أسباباً لافتراض العكس، بحقّ.

وسراعاً ما تظهر مناقضة بين المبشر في الجبال والبحيرات والسهول ذي الهيئة المدانية لبوذا فوق أرض أبعد ما تكون عن الهنديّة فتعطي تأثيراً غريباً، وبين ذلك المتشدّد المهاجم، العدوّ اللدود للربّانيين والكهنة، والذي مجّده خبثُ رينان بوصفه ((المعلّم الأكبر في الاستهزاء))[1].

شخصيّاً، لست أشكّ أنّ هذا القدر الوافر من الصفراء (وكذلك الألمعيّة) قد صُبَّ فوق شخصيّة المعلّم من قبل الهمّة المُهاجِمة للتبشير المسيحي: لقد صار معلوماً تماماً، النقص في

---

[1] شاهد من رينان "حياة يسوع" 1863 [P]

التدقيق المتحرّج عند كلّ المتعصبين الروحيين عند تنظيم "دفاعهم" من خلال المعلّم.

عندما كانت الجماعة الأولى محتاجة، ضدّ علماء اللاهوت، للاهوتي متشدّد، حماسيّ، غضبيّ، لوذعيّ الكلام بتخابث، فإنّها خلّقت "إلهها" تبع حاجاتها، وبذات الطريقة وضعت في فمه، دون أدنى تردّد، تلك المفاهيم، التي هي كليّة لا إنجيليّة، والتي لا يمكن اجتنابها والاستغناء عنها: كمفهوم "العودة" و"الدينونة الأخيرة" وكلّ صنف من الآمال والوعود الزمنيّة.

- 32 -

أعارض بإلحاح، مرّة أخرى، فعل تضمين "المتعصّب" في شخصيّة الفادي المخلّص:

تلك الكلمة الوحيدة ((المتعجرف)) يستخدمها رينان تكفي بذاتها لإلغاء تلك الشخصيّة.

تقوم البشارة، بالضبط، على أنّه ليس ثمّة تعارضات، وعلى أنّ "مملكة السماوات" خاصةُ الأطفال.

الإيمان المستشعَر هنا ليس إيماناً مكتسباً عبر الصراع وفي المعركة، إنّما يوجد عبر مبدأ، وإنه بقول أكيد صبيانيّة مرتدة صوب الحقل الروحي ومتعلق به.

حالة البلوغ المتأخّر وغير النامي في العضوية، كنتيجة للتنكّس الجسدي، هي حالة مألوفة، على الأقل عند الفيزيولوجيين.

هكذا إيمان لا يحتدم ولا يقرّع، ولا يقاوم، وليس يمسك (بالسيف)، ولا حتّى تراوده فكرة أن يتمكن يوماً من أن يباعد بين الناس. وإنّه ليس يثبت ذاته لا عبر العجائب، ولا عبر المكافأة، ولا الوعود المؤمّلة ولا بالأدنى عبر ((الكتاب المقدّس)): هو ذاته في كلّ حين عجيبته، مكافأته، وتوكيده، و"مملكة الله".

هذا الإيمان لا يصوغ ذاته البتّة، وإنّه ليحيا ويحامي عن ذاته بدفع الصياغة عنها.

في الواقع، فإنّ تقلبات المحيط واللغة والتكوينات التربوية السابقة تشكّل دائرة مؤكدّة من المفاهيم: المسيحيّة الأولى تستخدم فقط مفاهيم يهود ـــ ساميّة (وكمثال فإنّ الأكل والشرب في العشاء السرّي تشكّل جزءاً من هذه المفاهيم، والتي كحال كلّ يهودي، فإنّ الكنيسة تستعملها بطريقة بالغة السوء).

ولكن يجب الحذر من أن يرى في تلك المفاهيم أكثر من لغة رمـــزية، أو أكثر من سيميائيّة، أو حالة تتيح التعبير من خلال استعمال الاستعارات.

إنّ واقعـــة عدم أخذ الكلمة حرفيّاً، هو عند أولئك المضادين للواقع، هو بالضبط الظرف الأولي للتمكّن من الكلام عموماً.

بين الهنود استعملت الأفكار السنخيّة[1]. وبين الصينيين أفكار لاوتسو[2]، دون الشعور بأدنى تخالف.

---

(1) تعنـــي الســامخيا العـــدد، وفيها مثلاً العناصر الأربعة والعشرين التي تــتألف منها المادة. هذا المذهب قد وجد عرضه المنهجي في السامخيا ــ كاريكـــا العـــائد إلى القرون الأولى بعد أوغسطس. وقد تخلّى المذهب عن الوحدانـــية البرهمانـــية وقرّر وجود ثنائية أزلية: مادية وروحية. وهذا ما يشكل تناقضاً في الفكر الهندي المنكّر في عمومه للعالم، وإن حاول الإبقاء على النفس.

(2) الــتاوية تشــكل في الصين خروجاً عمّا في فكر الصين عموماً من لا روحانية سرّيّة صوفية. فكونفوشيوس لم يكن نبيّاً ــ وهذه عظمته وعظمة الصـــين معـــه ــ بل معلّماً. أما لاوتسو فيعرض في التاو تي كنغ عقيدته الروحانـــية، إذ التاو هو المطلق، السرّي بالمطلق، هو الخفيّ غير المعرّف باسم، الذي لا يسبر له غور ولا يتصوّر أو يمكن تخيّله. والفضيلة الخاصة بالـــتاوية هي فضيلة السلوك في الطريق السرّي للخلاص. وما أشدّ تناقض التاو مع ذهنية الصين، فليس غريباً أنّه بقي على الهامش.

يمكن تسمية يسوع، مع ضرب من التسامح في التعبير، بـــ "الروح الحر"، فلا شيء ثابت وعقيدي يهمّه: الحرف يقتل، كلّ ما هو ثابت نهائي يقتل.

إنّ مفهوم خبرة الحياة، كما فقط يعرفه هو، هو في مناقضة لكلّ شكل من الكلام، والصياغة، والقانون، والإيمان والعقيدة.

إنّـــه يـــتكلّم فقط على ما هو باطنيّ قلبيّ: ((حياة)) ((حقّ)) ((نور)) هي كلماته التي تعبّر عمّا هو أكثر عمقاً باطنيّاً[1].

كـــلّ مـــا يبقى، كلّ الواقع، كلّ الطبيعة، اللغة ذاتها، ليست تمتلك عنده إلاّ القيمة التي لإشارة، ولمثَل.

عـــند هـــذه النقطة ليس حسناً، ولا بأية طريقة، الوقوع في الخطأ، حتّى مهما يكن كبر الإغراء الموجود في الحكم المسبق المسيحي، أعني، الكنسي: إنّ رمزيّاً كهذا، بامتياز، يوجد خارج الديـــن، خارج مفاهيم العبادة، وخارج كلّ الكتب وكلّ فنّ. كلّ حكمـــته تقـــوم على أنّ الاعتقاد بأنّ أشياء كهذه هي موجودة، حماقةٌ صرف.

الحضـــارة غـــير معروفة حتّى سماعاً، وليس ثمة ضرورة توجب عليه أن يحاربها، وأن ينكرها.

---

(1) إنجيل يوحنا 14: 6 "قال له يسوع: أنا هو الطريق والحقّ والحياة" كذلك "أنا نور العالم"!

نفس الأمر يقال عن الدولة، والنظام والمجتمع المدني، والعمل والحرب: إنّه لا يملك أبداً دافعاً واحداً لإنكار ((العالم))، أبداً لا يملك أدنى فكرة عن المفهوم الكنسي للـ ((العالم)). الإنكار بشكل أكيد وبالكليّة، غير ممكن عنده.

بالمثل ثمّة نقصٌ في التحاور الجدلي، وفي التفكّر بأن إيماناً و((حقيقة)) يمكنهما أن يكونا مُثبتين بالحجج (أدلته: "أنوار" داخليّة، مشاعر باطنية بالمسرّة وتأكيدات الذات الداخليّة، وبالأخصّ "دلائل القوة").

هذه العقيدة لا تقدر حتّى أن تأتي بقول مناقض، ولا تدري إن وُجد أو يمكن أن يوجد عقائد أخرى، ولا يمكن أن تتخيّل، بأي طريقة، شكلاً آخر معاكساً للحكم الذي لها، وحيث تصادفه فإنها في أعماق شعورها تأسى لذلك العمى ــ ذاك أنّها هي التي ترى النور.. غير أنّها لا تشكل أية معارضة البتّة.

- 33 -

في كلّ السيكولوجيا "الإنجيليّة" ثمة غياب لمفهوم الخطيئة والعقاب، وكذلك الأمر مع مفهوم الجزاء.

إنّ الخطيئة ملغاة، وأيةَ نسبةِ مباعدة تراتبيّة بين الله والبشر.

يقيناً هذه هي بشارة "العهد الجديد"، السعادة ليست وعداً، وغيرُ مرتهنة بالظروف؛ إنّها الحقيقة الوحيدة، وكلّ ماعداها يبقى إشارات للحديث عنها والدلالة عليها.

ناتجُ هذه الحالة يَتجلّى في ممارسة جديدة، ممارسة إنجيليّة بحصر المعنى.

ليس "الإيمان" هو الذي يميّز المسيحيّ: الفعل المسيحي يُماز بنمط مختلف من الفعل؛ إنّه ل يتقدّم بمقاومة لمن يسيء إليه، ولا حتّى بواسطة الكلمات، ولا في قلبه، وليس يمايز بين الغرباء والأدنين، بين اليهود وغير اليهود. (القريب حقّاً هو الأخَ في الإيمان، اليهودي). ليس يزعل من أحد، ولا يحتقر أحداً أو يزدريه، إنّه ليس يُرى في المحاكم، ولا يتقاضى فيها (لا تحلف)، لا ينفصل عن امرأته تحت أيّ ظرف، ولا حتّى في حالة الخيانة المثبتة عليْها.

إنّ كلّ ذلك في أساسه مبدأ واحدٌ، والكلُّ نتائج دافع واحد.

حياة "المخلّص" لم تكن شيئاً آخر غير هذه الممارسة، وكذلك كان موته.

ليس ثمة حاجة فيه إلى صيغ وطقوس في علاقاته مع الله، ولا حتّى ثمّة حاجة إلى صلاة. ولعله صارفٌ نظره عن كلّ

العقـيدة الـيهودية في التفكير والمصالحة. عارفاً أنّه فقط عبر الحـياة الممارسـة يمكـن للإنسان أن يختبر "الإلهي" "المجيد" الإنجيلي" ودائماً "كابن لله".

الطـريق إلـى الله لـيس "المغفـرة" ولا "الصلاة من أجل الغفران". الممارسة الإنجيليّة هي، يقيناً، الله.

مـا يُلغى ويبطل مع الأناجيل هو اليهودية بمفاهيم "الخطيئة" "مغفرة الخطايا" "الإيمان" "الخلاص عبر الإيمان" ــ كلّ العقيدة الكنيسيّة اليهودية أُلغيت في البشارة الجديدة.

الغريـزة العمـيقة للكيفـيّة التي يجب أن يعاش فيها لأجل الشعور "بالمجد السماوي" "بالخلود"، في حين ولا بأيّ سبيل آخر يستشـعر المـرء أنّـه في ذلك "المجد السماوي"، هذا هو فقط النفسيّة الحقّة "الخلاص".

إنّه سلوكيّة جديدة، لا إيمان جديد.

- 34 -

إمّا أمكنني أن أفهم شيئاً عن هذا "الرمزاني" الكبير، فذاك أنّه أخذ كوقائع وكحقائق، فقط تلك الأمور الجوّانيّة، وأنّه قد عدّ كلّ

مـا بقـيَ، كلّ ما هو طبيعيّ، زمنيّ، خاصٌ وتارخيّ، رمْزاً، وإمكانية أمثال.

مفهوم "ابن الإنسان" ليس مفهوماً عن شخصيّة ملموسة واقعاً وتنتمـي إلى التاريخ، كشيء مميّز ومتفرّد، وإنّما لحقيقة خالدة، وكرمز نفسي محرَّر من مفهوم الزمن.

ذات الأمر يقال، وبمعنى أكثر إسماءً، عن إله هذا الرمزاني النموذجي، وعن مملكة الله، ومملكة السماوات، وعن ماهية ابن الله.

ليس ثمّة ما هو أناني عن المسيحيّة وأقلّ مسيحيّة من فظاظة الكنيسة، التي تتحدث عن الله كما عن شخص، وعن "مملكة الله" التـي تقترب، عن "مملكة السماوات" الماورائية الأخرويّة، عن "ابن الله" الذي هو الشخص الثاني في الثالوث.

كلّ ذلك ــ مع إتاحة السماح لي بالتعبير ــ لكمة على العين (ولكن آهٍ على أية عين) عين الإنجيل. وقاحة تاريخيّة ــ عالمية في سخريّة من الرمز.

لكـن هـذا واضح (لا ليس واضحاً للجميع، أسلّم بذلك) ما مدلول العلامة "أب" و"ابن".

مـــع كلمـــة "الابن" يتمّ التعبير عن الدخول في إحساس كلّي بتشكّل وتجلّي كلّ الأشياء (الغبطة)، ومع كلمة "الآب" يعبّر عن هذا الإحساس نفسه، الإحساس بالأبديّة، والكمال.

إننـــي لأخجل عند تذكّر ما فعلته الكنيسة بهذه الرمزية: ألم تضـــع تحت مظلّة الإيمان المسيحيّ تاريخاً انفيتريونيّا؟[1] أو لم تقدّم عقيدة "الحبل بلا دنس"، وإنّما هي بهذا تدنس الحبل؟

"مملكة السماوات" هي حالة قلب، ليست شيئاً يأتي من "فوق" أو أنّه "حياة ما بعد الموت".

كلّ مفهومات الموت الطبيعي تنقُصُ الإنجيلَ: فالموت ليس جسراً ولا عبوراً. إنّه منتقص لأنّه يشكّل جزءاً من عالم بالكليّة مخـــتلف، ووحـــده واضحٌ جليّ، ووحده نافع لتهيئة علامات .

"ســاعة الموت الأخيرة" ليست فكرة مسيحيّة، "الساعة" الزمن، الحـــياة الزمنيّة في الجسد وأزماتها، لا توجد عند حامل البشارة الجديدة.

"مملكـــة الله" ليســت شيئاً ينتظَر، لا تمتلك أمساً، ولا آتياً، وليست تحل في "الألفيّة"[2].

---

[1] يروي هزيودس في Teogonia "944" ولادة هرقل من ألكمينا زوجة انفيتريون، حيث واصلها زيوس كبير الآلهة.

[2] انظـــر رؤيـــا يوحنا 20: 2 "فقبض على التنين الحية القديمة الذي هو إبلـــيس والشيطان وقيّده ألف سنة" و20: 4 "والذين لم يسجدوا للوحش ولا

هي خبرة قلب وممارسته، توجد في كلّ مكان، ولا توجد في أيّ مكان.

- 35 -

هذا "الراعي الصالح" مات، مثلما حيي، ومثلما علّم، لا لكي "يفدي الإنسان" لكن لأجل أن يري كيف ينبغي أن يُعاش.

ما تركه كميراث للبشرية كان الممارسة:

تصرّفه أمام الحكّام، وأمام الجنود، وأمام متهميه والمشتكين علـــيه، وأمـــام كـــلّ صنف من وشاية وسخرية.. تصرّفه فوق الصليب.

إنّه لا يعترض ولا يدافع عن نفسه وحقّه، لا يتقدّم بأية خطوة ليبعد عن نفسه اللحظة الأكثر حرجاً بالموت، بل إنّه يستدعيها. إنّه يتضرّع، ويكابد، ويحبّ أولئك الذين يسيؤون إليه.

لصـــورته ولـــم يقبلوا السمة على جباههم وعلى أيديهم فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة".

تلــك الكلمــات الموجّهــة إلى اللصّ على الصليب تحتوي الإنجيل كلّه: "حقاً كان رجلاً مقدّساً وباراً، وابناً لله" قال اللص[1].

"إمّــا كان هذا حقيقة ما تدركه، أجاب المخلّص، إذاً ستكون في الفردوس، وتكون أنت أيضاً ابناً لله"

إنّه لا يقاوم، ولا يهين، ولا يحمّل المسؤولية أحداً.. لا يقاوم أبداً الشرير، بل يحبّه.

- 36 -

فقط نحن، تلك النفوس المتحرّرة، من يملك ظروفَ تفهّم أمر قــد جــرى فهمه فهماً خاطئاً خلال 19 قرناً خلت: نملك تلكَ الــنزاهة الحائلة إلى غريزة وهوى، والتي قامت بالحرب ضد

[1] – يذكر متّى أنّ قائد المئة والذين معه قالوا "حقّاً كان هذا ابن الله" 27: 54 – وقريــباً مــنه مــرقس 15: 39– أمّــا لوقا فيروي عن قائد المئة "بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً" 23: 47 أمّا ونحن نجد المصلوبين يهزآن بيسوع قبلاً، نجد أحدهما مع ذلك يقول في لوقا: "أمّا هذا فلم يفعل شيئاً ليس فــي محلّــه" يقول عن يسوع ويطلب منه أن يذكره في ملكوته فأجابه هذا "الحــق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس" 23: 41-43. فمزج نيتشه من كلّ هذا ما أثبته.

"الكذبة المقدّسة" أكثر ممّا ضدّ أية كذبة أخرى.. كان هناك بعدٌ لا يُحدّ عن حيادنا المحبّ والحذِر، عن ذلك الانضباط الروحي الذي فقط جعل ممكناً كشف أشياء غريبة إلى هذا الحدّ ودقيقة: في كلّ الأزمان، جرى البحث، بأنانية صفيقة، لتُنظر في الأشياء فقــط المصــلحة الشخصيّة؛ وفوق ما يناقض الإنجيل رُفع بناء الكنيسة.

مــن يبحــث عن دلائل ألوهية متهكّمة تحرك الخيوط خلف اللعــبة الكبيرة للعالم، سيصادف سنداً واهياً في إشارة الاستفهام الواسعة التي تُدعى المسيحيّة.

كــون البشــرية قد خضعت أمام المضاد لما كان الطبيعي الأصــيل، والفحوى، والحقّ الإنجيلي، وأنّه في مفهوم "الكنيسة" قد قُدّس يقيناً ذاك الذي اعتبره حامل البشارة أدنى منه ووراءه: عبــثاً يبحث في التاريخ عن شكل أكثر إمعاناً في السخرية من هذا.

- 37 -

عصرنا متباهٍ وفخور بحسّه التاريخي: كيف أمكن له أن يقتنع بالــبطلان اللامعقــول بأنّــه في مبتدأ المسيحيّة توجد الخرافة

الخشنة لصانع العجائب والفادي؟ وأنّ كلّ الروحي والرمزي هو فقط توسّع لاحق؟ بالمقابل، فإنّ تاريخ المسيحيّة بدءاً من الموت فوق الصليب هو تاريخ سوء فهم ــ يزداد جلافة ــ لرمزية أصليّة.

مع كلّ توسع للمسيحيّة فوق الجماهير الأكثر امتداداً ورعونة، والتي ينقصها أكثر فأكثر وبشكل متزايد الظروف التي ولدت فيها المسيحيّة، يكون ثمّة ضرورة متزايدة لجعلها (أي المسيحيّة) أكثر عموميّة، ولبربرتها.

لقد تمثّلتْ وامتصّت كلّ العقائد والطقوس التي لكلّ العبادات الباطنيّة الديماسيّة في الإمبراطورية الرومانيّة وتفاهات كل أشكال الذهنية المريضة.

قدر المسيحيّة المشؤوم قام في حتميّة أنّ إيمانها الخاص يتضمّن ما يعود به مريضاً بهذا القدر، وبهذه الحطّة، وبهذه السوقيّة، مثلما أنّ الضرورات التي سعت لإشباعها كانت مريضة ومنحطة وطغاميّة.

بنهاية الأمر فإنّه قد جُيّرت إلى الكنيسة، البربريةُ المريضة لتشكيل القدرة بوصفها كنيسة.

الكنيسة، هي هذا الشكل من العداوة حتّى الموت لكلّ استقامة ولكلّ سموّ في النفس، لكلّ صقل للهمّة الروحيّة، ولكلّ إنسانيّة حرّة وكريمة.

القيم المسيحية مقابل القيم الأرستقراطية: هكذا، نحن فقط، نحن تلكم النفوس المتحرّرة، أعدنا تأسيس هذه المناقضة في القيم، المناقضة الأكبر التي قد وُجدَت.

- 38 -

لا أستطيع هنا أن أحبس أنّة وأكتم آهة.

ثمة أيّام يحكمني بها شعورٌ أكثر قتاماً من أكثر السوداويات قتامة: هو احتقار الإنسان.

ولكيلا أدع مجالاً للشك حول ما أحتقره ومن الذي أحتقره: فذاك هو إنسان اليوم، الإنسان الذي بكل شؤم أعاصره. إنسان اليوم يخنقني بأنفاسه النتنة الملوّثة.

تجاه الماضي، وكما كلّ الدارسين المقدّرين، فإني أكنّ مسامحة كبيرة، هذا يعني سيطرة على النفس شهمة كريمة:

أعبرُ باحتراس كئيب هذا البيمارستان الذي كأنه العالم خلال ألفيّات كاملة، والذي بات يدعى الآن "المسيحيّة" و"الإيمان المسيحي" أو "الكنيسة المسيحيّة" .. أحتاط جداً من أن أجعل البشرية مسؤولة عن تلك الأمراض التي أنهكت روحها؛ لكنّ

إحساسي يختبر انقلاباً وينفجر ما أن يدخل العصر الحديث، عصرنا ــ عصرنا العارف .. الذي كان قبلُ مريضاً هوذا الآن قد ارتدّ بذيئاً. عدم اللياقة والبذاءة اليوم هو أن يكون المرء مسيحيّاً. وهنا يبتدئ قرفي.

أتلفّت حولي: لم تبق كلمة ممّا كان يدعى قبلاً حقيقة، ولسنا نحتمل حتّى، أنّ كاهناً ينطق بكلمة "حقيقة". اليوم ثمّة وجوب ــ مع كلّ التواضع المقتضى للنزاهة ــ لمعرفة أنّ لاهوتيّاً، كاهناً، بابا، وفي كلّ عبارة يفوه بها ليس فقط أنّه يُخطئ، بل يكذب. وأنّه ليس يُبرّأ الكذب ويباح بسبب البراءة والجهالة.

كذلك يعرف اللاهوتي، كما يعرف الجميع، أنّه ليس ثمّة "إله" أو "خطيئة" أو "مخلّص"، وأنّ "الإرادة الحرّة" و"النظام الخلقي للعالم" هي أكاذيب.

الجديّة والتسامي العميق للنفس على ذاتها، لا يسمح لأحد بجهل هذا كلّه.

كلّ مفاهيم الكنيسة معدودة كما هي في الحقيقة: إنّها الأكثر تزييفاً مؤذياً الذي قد وجد أبداً، بنظرات محتقِرة للطبيعة وللقيم الطبيعيّة.

الكاهن نفسه بان مكشوفاً على حقيقته: إنّه النمط الأكثر خطراً بين الطفيليين، والعنكبوت المسمّم للحياة.

إننا لنعرف، وضميرنا يدرك اليوم هذا ، كم تساوي على العموم، وإلى ما تصلح، تلك البدع المشؤومة التي ابتدعها الكهنة، والكنيسة، والتي حصّلت ذلك الوضع المدمّر المشرّد للبشرية، المثير للقرف لدى ظهوره.. مفاهيم "الآخرة" "الدينونة الأخيرة" "خلود الروح" "الروح" ذاتها، هي أدوات تعذيب وأنظمة وحشيّة من خلالها يتسلّط الكاهن ويظلّ محتفظاً بسلطانه.

الكلّ يعرفون هذا، والكلّ يتّبعون مع ذلك ما قد سلف!!

أين ستقف البقيّة الأخيرة للشعور بالحشمة، ولاحترام الذات، إمّا كان حتّى رجال دولتنا(1)، إضافة إلى نوعٍ لا أباليّ من الرجال مضادّ كفاية للمسيحيّة فعلاً، يُدعَون اليوم مسيحيّين، ويمضون لتناول القربان؟!

أميرٌ شاب(2) على رأس حكومته يتألق كتعبير عن الأنا والكبرياء التي لشعبه، إنّما لا يخجل من أن يعدّ ذاته مسيحيّاً!!

من تنكر المسيحية وترفض؟ ما الذي تدعوه دنيوياً؟

الصيرورة محارباً، قاضياً، الصيرورة مواطناً؛ الدفاع عن النفس، المحافظة على الشرف الخاصّ، إرادة المنفعة الذاتيّة، والكبرياء الفخورة...

---

(1) تعريض ببسمارك وموقفه الغامض من الدين [P]

(2) يعني به Guillermoll المميّز بدوافعه الكبيرة، وانفتاحه على الأفكار الجديدة، وتنوّع اهتماماته، وثقافته الكبيرة وشخصيّته اللامعة [P]

كلّ ممارسة في أيّ حين، كلّ غريزة، وكلّ تقييم يتحول إلى فعل، هو اليوم ضدٌّ للمسيحيّة:

أيّ سِقطِ زيفٍ يجب أن يكون الإنسان الحديث كيما لا يخجل حتّى الآن من أن يدعو نفسه مسيحيّاً!!

- 39 -

أمضي مرتدّاً، لأروي تاريخ المسيحيّة الحقيقي.

الكلمة ذاتها "المسيحيّة" هي سوء فهم وخطأ، وفي الأصل لست أجد أكثر من مسيحيّ واحد: وهذا قد مات مصلوباً. "الإنجيل" مات على الصليب. وما يُدعى بدءاً من تلك اللحظة "إنجيلاً" كان بالعكس لذاك الذي قد عاشه: بشارة سيئة، "لا ـ إنجيل"[1]

إنّه لأمر زائف وباطل حتّى التفاهة إمّا نُظرَتْ خصيصة المسيحيّة في إيمان، ومثالاً، الإيمان بالفداء بواسطة المسيح: فقط الممارسة المسيحيّة، العيش كما عاش المائت على الصليب هو المسيحيّة.

---

[1] يستخدم نيتشه تعبير Dysangelium ليشير في لعب على اللفظ إلى ما هو ضدّ البشارة: البشارة الرديئة [p].

إنّ هكذا حياة هي إلى اليوم ممكنة لبعض الأناس، لا بل حتّى ضرورية لهم: المسيحيّة الحقيقيّة، الأصلية، تصير ممكنة في كلّ الأزمان، لا اعتقاداً، وإنّما عملاً، وفوق كلّ شيء لا ـ عمل أشياء كثيرة وصيرورة في كيان متمايز.

إنّ حالات الضمير، وأيّ اعتقاد، كمثالِ عدّ شيء حقاً، الذي يعلمه كلّ نفساني، كلّها عدم اهتمام كلّي وطابوراً خامساً ضدّ قيمة الغرائز. ومتكلّماً بصرامة أكبر، فكلّ الفكرة العامّة عن السببيّة الروحية هي زائفة.

تخفيض الكينونة المسيحيّة، الجوهر المسيحيّ، إلى حدّ عدّ ظاهرية محضة للضمير كحقيقة، يعني إنكار المسيحيّة.

في الواقع، لم أصادف مسيحيين. المسيحي ببساطة، وما يدعى عبر ألفيّ سنة مسيحياً، نفسيّةٌ غير مفهومة منه ذاته. وإمّا نظر إليه بتدقيق، وجد رغم الإيمان كلّه، وقد تسلطت عليه إطلاقاً الغرائز. وأية غرائز!!

لقد كان الإيمان في كلّ زمان، وكمثال حالة "لوثر"، فقط غطاءً، وحجّة، وستارة، من خلفها تلعب الغرائز لعبتها، وكان دهاءً عَمِياً فوق سيطرة تلك الغرائز.

إنّ الإيمان ـ والذي قد دعوته قبلاً بالدهاء المسيحي الحقّ ـ يتكلّم دائماً عن الإيمان، ويتصرّف عاملاً فقط بالغريزة.. في

عـــالم الأفكـــار المســـيحيّة لا يظهـــر أبداً ما يلمس الواقع. بل بالعكس، ففي الكره الغريزي لكلّ واقع نتعرّف العنصر الدافع، "العنصر" الدافع الوحيد في جذور المسيحيّة.

ماذا يُستنتج من هذا؟ على ما هو كذلك في المسائل النفسيّة، الخطأ هنا هو جذري، وأنّه المقرّر للجوهر، والماهيّة.

أستخلص من هنا فكرةً، وفي مكانها أضع حقيقةً وحيدة، وكلّ المسيحيّة تتردّى في العدم.

إننـــي أرى من فوق، من الأعلى، هذا الأكثر غرابة بين كلّ الأعمـــال: ديناً مبتدَعاً، وليس فقط مشروطاً ومحشواً بالأخطاء، بـــل خالقاً بمقدار ذلك، وبعبقريّة، الأخطاء المؤذية، التي تسمم الحياة والقلب؛ هو مشهد جدير بالألوهة، بتلك الآلهة التي تكون أحـــياناً فلاسفة، والتي وجدتُها ــ على سبيل المثال ــ في تلك المحاورات الشهيرة لناكسوس[1].

---

[1] محاورات ناكسوس من ابتداع نيتشه. وفي حوار يؤكد ديونيسيوس على قـــدرة "الحيوان الكيّس الجرئ الجسور" الذي هو الإنسان "والذي هو واسع الحيلة ولا مثيل له على الأرض" ويفكّر كيف يجعله "أكثر قوة وخبثاً وعمقاً ممّـــا هو عليه. "أكثر قوة وخبثاً وعمقاً؟ سألت بهلع. نعم ردّد مرّة ثانية؛... وأكـــثر جمـــالاً". من: ما وراء الخير والشرّ. ترجمة جيزيلا فالور حجّار. نـــبذة 295، وفـــي النبذة نفسها يقول: "أن يكون ديونيسيوس فيلسوفاً، وأن

فـــي اللحظة التي ينسحب فيها التقزّز من تلك الآلهة (وكذلك يغادرنا) فإنهم يشكرون المنظر الذي يقدّمه المسيحي.

ذلـــك الكوكب البائس الصغير الذي يُدعى الأرض، يستأهل ربّما فقط بسببٍ من هذه الحالة الغرائية، نظرة إلهية، واهتماماً إلهياً.

لا نســـتخفنّ إذاً بالمســـيحيّة: المســـيحيّ زائف حتّى أقصى السذاجة، إنه أعلى بكثير من القرد؛ فيما يتعلق بالمسيحيّين، فإنّ نظرية معروفة جداً عن تولّد السلالات، تغدو لطفاً محضاً.

- 40 -

مصير المسيحيّة قُرّر بالموت ــ معلقاً على الصليب.

فقـــط المـــوت، هذا الموت المقنط والمُخجل، وفقط الصلب، الـــذي علـــى العمـــوم يُحتفظ به للسفلة[1]، وحده هذا التناقض

تكـــون الآلهة إذن هي الأخرى مهتمة بالفلسفة يبدو لي تجديداً لا يخلو من الحرج، أمّا بينكم يا أصدقائي فسيكون هذا التجديد أكثر قبولاً".

[1] كـــان الصَـــلْبُ مكرّساً للناس المنحطين، لذلك نجد يسوع يصلب وكذا اللصين وكذا بطرس يصلب، بينما شاول "الروماني" يُضرب عنقه بالسيف المخصّص للرومان والنبلاء.

الظاهـري المرعب وَضَع التلاميذ أمام السؤال الملغز: من كان هذا؟! ماذا كان هذا؟

الشـعور المهتز والمهان في العمق، والارتياب من أنّ هكذا ميـتة يمكن أن تكون دحضاً، والعلامة المرعبة للتساؤل: لماذا كان بكلّ تأكيد هكذا؟: هذه الحالة تُفهم جيّداً.

فهـنا الكـلّ يملك أو يوجب أن يكون ضرورة، حائزاً على معنى، وأحقيّة، أحقيّةً سامية.

حبّ المريد لا يعرف تقلّب الصدف.

فقط حينها تنفتح الهاوية: من أماته؟ من كان عدوّه الطبيعي؟ هـذا التسـاؤل ينطرح مثل برق. والجواب: السلطة اليهودية، صنفها الأعلى.

والتلامـيذ انطلاقـاً من هذه اللحظة وفيما يأتي، استَشْعَروا الـتمرّد ضـدّ النظام المجتمعي، إلى الحدّ الذي فُهم فيه يسوع بوصـفه مـتمرداً ضـدّ النظام. حتّى ذلك الحين كانت تنقص صـورتَه هذه الهيئة الحربيّة، الرافضة بالقول والفعل. أكثر من ذلك، كان ذلك المناقضةَ ليسوع.

إنّه لواضح أن الجماعة الصغيرة لم تفهم أكيداً ذلك الأساس الذي أنشأ نموذجاً بطريقة الموت هذه: الحريّة، والرفعة فوق كل شعورٍ بالضغينة. وهذا علامة على كم أنهم قليلاً قد فهموه. في

ذاتــه، لـم يقدر أن يريد بموته شيئاً آخر غير أن يعطي بشكل عمومي البرهان الأقوى، المُظهر لعقيدته..

لكـنّ تلامذته كانوا بعيدين عن أن يغفروا هذه الميتة، التي كانـت إنجيلـيّة في أرفع معنى، أو بالأقل أن يتقدّموا إلى ميتة مشابهة مضحّين بأنفسهم، بعذوبة ومحبّة هادئة في القلب.

لقد كان، بالتأكيد، الشعور الأقل إنجيليّة، أي الثأر، هو الذي فرض ذاته من جديد.

كان غير ممكن أنّ الدافع يبلغ غايته بهذه الميتة.

ثمّـة ضرورة للأخذ بالثأر، وللعدالة. (ومع ذلك، أيّ شيء يمكـنه أن يكـون أقـلّ إنجيلـيّة مـن الأخذ بالثأر، والعقاب، والإخضاع للمحاكمة).

مـرّة أخرى يَعود إلى الواجهة التوقّع الشعبي عن المسيح؛ ولحظة تاريخيّة تكون قبلة للنظر: "مملكة الله" تجيء للحكم على أعدائه.

إنّما بهذا يكون كلّ شيء مفهوماً بطريقة رديئة: "مملكة الله" كفعـل نهائـي، كوعـد! الإنجيل كان بوضوح الوجود، الملْء ،الواقـع لمملكـة الربّ هذه، وميتة كهذه كانت بالضبط مملكة الربّ تلك.

فقط الآن يُشكِّل في شخص المعلمّ كلّ الاحتقار وكلّ المرارة تجاه الفريسيين واللاهوتيين ـ وبهذه الطريقة جعلوا منه فرّيسيّاً ولاهوتيّاً!!

من جهة أخرى، فإنّ التجلّة العائدة وحشيّة، في هذه النفوس المضــطربة الخارجــة عــن كلّ ضبطٍ بالكليّة، لم تحتمل تلك المساواة الإنجيليّة في الحقوق، ولا كذلك تحويل الكلّ إلى أبناءٍ لله، كمــا بشّــر يسوع: انتقامهم قام على رفع يسوع إلى أعلى بطريقة مفرطة، على فصله عنهم، وهو ذات الأمر الذي حصل في وقت آخر حيث العبرانيين كيما يثأروا من أعدائهم انفصلوا عنهم إلى إلههم الخاص وقد رفعوه إلى أعلى.

الله الأحــد.. الابــن الوحــيد لله: كلاهمــا صنعتا الحقد [Resentinent].

- 41 -

مــن الآن وصــاعداً، تندفق مشكلة منافية للعقل واستحاليّة: "كيف أمكن لله أن يسمح

بذلك!"

ولأجل هذا التساؤل وجد العقل المضطرب المشوش للجماعة الصــغيرة جواباً منافياً للعقل بشكل مرعب: لقد وهب الله ابنه لمغفرة الخطايا، كأضحيّة استغفار.

آهٍ كيف بضربةٍ واحدةٍ، وبأيّة طريقة، يُنتهَى من الإنجيل!

الذبــيحة التكفيرية في شكلها الأكثر إثارة للاشمئزاز، الأكثر بربــريّة، التضــحية بالبريء لغفران خطايا المذنبين. أيّة وثنيّة هائلة!!

يســوع أبطل المفهوم ذاته للــ (ذنب)، ملغياً كلّ هوّة وبون بيــن الله والإنسان، عائشاً هذا الاتحاد بين الله والإنسان كــ : (بشارته)، وليس كامتياز.

بدءاً من الآن وآتياً، وشيئاً فشيئاً، يُتَوَصّل إلى تخليق شخصية الفــادي: عقــيدة القضــاء والرجعة، عقيدة الموت موتاً قربانياً (تضــحويّاً) كذبــيحة، عقيدة القيامة، التي بها أُخفي كلّ مفهوم (الطوباويــة)، وهــي الواقعة الوحيدة والكاملة للإنجيل، لصالح حالة ما بعد القبر!!

(بولــس) أعطى معنىً منطقيّاً لهذا الفهم، لهذا العتوّ المتهوّر فــي الــتقرير والفهم، عبر تلك العجرفة الوقحة الحاخاميّة التي ميّزته في كلّ الظروف "إن كان المسيح لم يقم من بين الأموات

"فـــباطلٌ يكـــون إيماننا"[1] وسراعاً ما تحوّل الإنجيل إلى الأكثر حقـــارة بين كلّ الوعود غير ممكنة التحقّق، وإلى عقيدة ليست تخجل، عقيدة الخلود الشخصي!!

بولس نفسه بشر بذلك كمكافأة.

- 42 -

يُرى ما وَضَع نهايةً له الموتُ على الصليب:

ابتداءٌ جديد وتام وحقيقي لحركة بوذيّة للمسالمة[2]، ولسعادة فعليّة، لا موعودة، فوق الأرض. لأنّ هذا هو ــ كما أظهرتُ ــ الفرق العميق بين دينيّ الانحطاط هذين: البوذية لا تَعد، بل تُتمّ، بينما المسيحيّة تعد بالكلّ ولا تُتمّ شيئاً.

البشارة الجيدّة يتبعها عن قرب ويحلّ محلّها البشارة الرديئة: بشارة بولس.

---

(1) نـــصّ الآية 14 من الاصحاح 15 من الرسالة إلى كورنثوس: "فإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطلٌ أيضاً إيمانكم".

(2) قارن مع الفصل 20

فـــي بولس يتجسّد النمطُ المعاكس ((لحامل البشارة الجيد)) والعـــبقريةُ في البغضاء، وفي رؤيا البغضاء، وفي منطق الكره الذي لا يلين ولا يرحم.

كم من أشياء ضحّى بها هذا اللا ــ إنجيلي[2] للبغضاء؟ قبل الجميع المخلّص ذاته: سمّره فوق صليبه. الحياة، المثَل، العقيدة، الموت، المعنى والحقّ في كلّ الإنجيل، لاشيء قد بقي من ذلك عندما علِم هذا المزيّف بالبغضاء ما فقط يحتاجه لأجل غاياته. لا الحقيقـــي، لا الحقـــيقة التاريخـــيّة!... ومرّة أخرى ترتكب الغريزة الكهنوتيّة اليهودية الجريمة الخطيرة ذاتها ضدّ التاريخ.

إنّها ببساطة قد محت الأمس، الماضي المسيحي، واخترعت للمسيحيّة البدئيّة تاريخاً.

علاوة على ذلك، زيّفت من جديد تاريخ إسرائيل مظهرةً إياه كتســبيقة تاريخيّة لفعلتها: كلّ الأنبياء قد تكلّموا عن "المخلّص" الذي أوجدته.

الكنيسة زيّفت لاحقاً حتّى تاريخ البشرية ذاته، قالبةً إيّاه إلى ما قبل تاريخ المسيحيّة.

شخصـــيّة المخلّـــص، والعقـــيدة ــ عقيدته ــ والممارسة، والموت، ومعنى الموت، وحتّى ما يحدث ما بعد الموت نفسه،

---

(2) dysevangelist

لاشــيء بقــي دون أن يطــرق ويُمس؛ لاشيء قد بقي به ولو مشابَهة للواقع.

الــذي قــام بــه بولس ببساطة كان نقل مركز الثقل ونقطة الجاذبية لكامل ذلك الكيان إلى ما وراء ذلك الكيان ووضْعَه في كذبة يسوع المنبعث.

في الأساس لم يكن محتاجاً على الإطلاق إلى حياة المخلّص، كــان محــتاجاً إلى الميتة على الصليب، وإلى شيء آخر. إنّ الاعــتقاد بأمانة وإخلاص "بولس" (والذي كان بلده المتحدّر منه فــي المركــز الرئيس للفلسفة الرواقية اللامعة[1]، وحيث تحت تأثــير الوهم، رتّب البرهان على أنّ المخلّص لم يزل إلى الآن حيّاً، أو حتّى أرسخ تصديقاً لروايته بأنّه قد وقد له ذلك التوهم) سيكون ــ عند السيكولوجين ــ بلاهةً حقّة.

بولــس يتطلّع إلى الغاية، وبالتالي، ينظر في الوسائل. ما لم يؤمن به هو يؤمن به أولئك المغفلون الذين بذر بينهم عقيدته.

[1] فــي مديــنة طرســوس عاش وعلمّ رواقيون من حقب شتّى: زينون، ارشــديموس انتيباتر، هيراكليدس، اتينودورو، هيرودوت، ديوجين، الذين أعطــاهم ديوجين اللايرثي الهوية الطرسوسية. في فترة دراسته في ليبزيغ وأستانيته في بازل، اهتم نيتشه كثيراً بعمل ديوجين اللايرثي: حياة وأفكار كبار الفلاسفة. [P]

احتــياجه كان إلى القوّة. عبر بولس أراد الكاهن مرّة أخرى أن يحصل على القدْرة.

هــو وحــده كــان يقدر على الانتفاع من المفاهيم والعقائد والرموز التي بها يتمّ التسلّط على الجماهير، وتنتظيم القطعان.

مــا كــان الشــيء الوحيد الذي استعاره "محمّد" لاحقاً، من المسيحيّة؟

إنّــه ابــتداعُ بولــس، ووسيلته للتسلّط الكهنوتي، ولتشكيل القطعان: الاعتقاد بالخلود ــ وهذا يعني، عقيدة "الدينونة".

- 43 -

وضع مركز ثقل الحياة لا في الحياة، وإنّما في الأكثر بُعداً، في الآخرة، في اللاشيء، يسلب الحياة من أهميتها وثقلها.

الكذبــة الكبيرة عن الخلود الشخصي تدمّر كلّ صوابيّة وكلّ طبــيعة في الغرائز. كلّ ما هو مفيد ومفضّل في الحياة، كلّ ما يضــمن المســتقبل من الغرائز يستثير من الآن وصاعداً عدم الثقة.

الحياة بهكذا طريقة لا تملك بعدُ معنى الحياة، يُحوِّل الآن إلى (معنى) الحياة.

لماذا الشعور التضامني، لماذا الامتنان للسلالة، للأجداد، لماذا التكافل، الوثوق، الحفز ومراعاة النظر في خيرٍ عموميّ ما؟...

كلّ هذه الأمور هي إغواءات، كلّ هذه الأمور انحراف عن (الطريق المستقيم).

"شيء واحدٌ فقط هو الذي ينقص وهو الضروري"... أنّ كلّ واحد، كونه "روحاً خالدة"، يملك المنزلة ذاتها التي يملكها الجميع، وأن "الخلاص" ـ وبالإجماع مع كلّ كينونة ـ لكلّ شخص، يقدر أن يدعي أهميّة خالدة، وأنّ كلّ المنافقين التقاة الصغار وأنصاف المجانين يملكون الحقّ ليتصوّروا أنّه لأجلهم تخالَفُ قوانينُ الطبيعة باستمرار: في كلّ ذلك فإنّ هكذا رفع لكلّ صنف من أنانيّة والذي يصل إلى اللا تناهي وإلى الفحش الذي لا يخجل، لا يُقتدر أن ينظر إليه بالاحتقار الكافي.

ومع ذلك فإن المسيحيّة تدين بانتصارها إلى هذا التملق المؤسي الزريّ، إلى هذه البهرجة الشخصيّة المزدهية. وبهذا فإنّها تجذب إليها بالتأكيد ما هو مشوّه، وذوي الحدّة في التمرّد، والفاشلين، المحطّمين، وكل حثالة البشرية.

(خلاص الروح) يعني بالألمانية[1]: (العالم يدور حولي).

(1) كما نقول بالعربي الفصيح، أو القول بوضوح.

وسمُ عقيدة (الحقوق ذاتها للجميع)[1] تُنشر عميقاً بواسطة المسيحيّة.. إنّ المسيحيّة، انطلاقاً من أخبأ الزوايا الغريزية الرديئة، قامت بحربٍ حتّى الموت ضد كلّ مشاعر التوقير والحفاظ على المسافة التي بين إنسان وإنسان، وهذا يعني، ضدّ الظروف المهيئة لكلّ سموّ، وكلّ نموّ في الحضارة... بالضغينة الشعبيّة طرّقت سلاحها الرئيس ضدّنا، ضدّ كلّ أرستقراطيّة، ضدّ كلّ مبتهج وكريم موجود على الأرض.

الخلود ممنوحاً لهذا وذاك كان حتّى الآن المحاولة الأكثر إيذاءاً وهولاً ضدّ النبالة.

إننا لا نستخفّ بالشؤم الذي نفذ متغلغلاً من المسيحيّة إلى السياسية!

لا أحد يملك الشجاعة اليوم ليطالب بالحقوق الخصوصيّة، وبالسيادة، وشعور الاحترام المُجِلّ لنفسه ولبني قومه، وللمناداة بتعاطفه مع الفوارق والمسافات الطبيعيّة... سياستنا مريضة بنقص الشجاعة هذا.

الأرستقراطيّة في الجبلّة قد قُوّضت داخلياً بكذبة أنّ النفوس سواسية.

(1) قارن مع أواخر الفقرة 40.

وإذا كـان الاعـتقاد بــــ "حقــوق الأكثرية" قد صنع ثورة وسيصـــنع، حينها فإنّ المسيحيّة، ولاشك، وتلك الأحكام القِيَميّة المسيحيّة، هي مَن حول كلّ ثورة إلى الدمّ والجريمة.

المسيحيّة هي تمرّد كلّ أولئك المتجرجرين فوق التراب ضدّ كـلّ مــن يملكونــه رفعـةً: إنجيل السفلة يصنع سفالة (إنجيل المخزيّين يخزي).

- 44 -

الأناجيل شهادة لا تثمّن عن الفساد الذي لا يعالَج والذي وُجِد فـي صدر الجماعة الأولى. والذي قد حمله بولس فيما بعد إلى نهايـته وأنجـزه، بالمنطق الصفيق لحاخام، لم يكن إلاّ قضيّة الانحطاط الذي بدأ مع موت المخلّص.

كـلّ الاحـتراس الذي يتخذ عند قراءة الأناجيل يبقى قليلاً، حيث كلّ كلمة تخفي وراءها صعوبات كثيرة.

أنا واثق ــ وفي هذا يجب أن يوثق بي وأقدّر جيّداً لما أقوله ــ أنّه لهذا السبب بالتأكيد فإنّ تلك الأناجيل تقوم، لدى نفسانيّ،

منـبعَ تسـلية مــن المرتبة الأولى: كمناقضة بكلّ فساد ساذج، وكحذلقة ومغالاة رفيعة، ومهارة في الفساد النفساني.

الأناجيل تقوم متوحّدة، وبجوهريّة تعتمد على ذاتها. الكتاب المقدّس من جهته ــ عموماً ــ لا يقبل أية مقارنة ولا يتحمّلها.

نحــن بيــن اليهود: نقطة النظر الأولى كيما لا يضيع تماماً الخيط المرشد.

الانتقال الذاتي، الذي هو مباشرة فعلّ عبقري، إلى (القداسة)، والــذي أبداً لم يكن ــ ولا بالمقاربة ــ متوصّلاً إليه في مكان آخر، لا في الكتب ولا بين الناس، التزييف للكلمات والإيماءات كفــنّ، ليس خاضعاً لمصادفة نبوغٍ شخصيّ، ولا لأي شكل من وجود استثنائي: لأجل هذا يُحتاج إلى سلالة Raza.

جمــاع اليهودية التي هي تَشَدّد في الممارسة وتكنيك يهودي دنــيوي بــالغ الجديّــة، تحصّل براعتها النهائية في المسيحيّة بمفهومها فَنّ الكذب المقدّس.

المسيحي، العلة النهائية للكذب [Ultima ratio]، هو اليهودي مضعّفاً، بل اليهودي مثلّثاً.

إنّ إرادة الاســتخدام الأساســيّة، فقــط لمفاهــيم، ورموز، وإشــارات وهيــئات والاســتفادة منها، مختبرةً ومُبيِّنة بتجربة الكاهــن. الــرفض الغريزي لكلّ خبرة أو ممارسة أخرى، لكلّ

مـــنظور آخر للقيمة والمنفعة، هذا ليس أنه فقط تقليدٌ بل وِرثة: وفقط بكونها وراثة، تتصرّف كطبيعي.

كـلّ البشـريّة، وأفضل الرؤوس في كلّ العصور (باستثناءِ واحدٍ، الذي لعلّه ببساطة إنسان هائل سامٍ) تُركت مخدوعةً.

لقـد قرئ الإنجيل ككتابٍ للبراءة، وأحد لم يشر إلى البراعة التي أنجز بها ككوميديا.

وطـبعاً إمّـا اسـتطعنا أن نـرى خارج السياق كلّ هؤلاء المنافقيـن العجائبيين، والقديسين الفنانين، فإنّ كلّ هذه الكوميديا ستنتهي. وبالتأكـيد لكونـي لا أقـرأ كلمة واحدة دون رؤية ملامحهـا، فإنني أنتهي منها.. إنني لا أحتمل فيها تلك الطريقة في رفع العينين إلى السماء.

إنّ مــن التوفـيق أنّ تلـك الكتب، في أغلبيّتها، هي محض أدبيات.

فــلا نَسمحنّ بأن نُخدع: "لا تدين"، تقول تلك الكتب، بينما ترسـل إلى الجحيم كلّ من يكون عائقاً في طريقها. وإمّا تجعل الحكمَ لله، فإنّها تحاكِم هي نفسُها، وفي صنيعها بتمجيد الله تمجّد ذاتها، وباقتضائها للفضائل التي بها تصبح قديرة ـ وهذا يعني الفضـائل الضرورية التي بها تبقى محتفظة بسلطانها ـ تُمنح الهيـئة العظـيمة للصراع من أجل الفضيلة، ولمعركة من أجل

سـلطة الفضيلة. "إننا نعيش، إننا نموت، مضحيّن بأنفسنا لأجل الخير" (لأجل "الحقّ"، "النور"، "مملكة الربّ").

لقـد عملـوا ـ في الواقع ـ ما لم يكن بوسعهم ألاّ يعملوه، بيـنما ـ وبطـريقة منافقة ـ أظهروا التواضع، والتجأوا إلى الـزوايا، عاشـوا فـي الظلّ، كظلال، جاعلين من هذا واجباً: حـياتهم كوضاعة تظهر كواجب. وكوضاعة هي برهان زائد على التقوى تجاه الله.

آه أيّ بهتان منافق ذاك التواضع والعفة والرحمة!

((الفضيلة نفسها يجب أن تُثمّن في نفوسنا ومن قِبَلنا)).

يجـب أن تُقـرأ الأناجـيل ككتـب للإغواء عبر الأخلاق؛ والأخلاق تبقى محجوزة من قبل هؤلاء الناس الصغار!

إنهـم يعـرفون أيـة أهمية تمتلك الأخلاق.. الأخلاق أنجعُ طريقة لأجل التصرّف بالناس من أنوفهم.

الواقــع أنّ هـنا أكـبر خيلاء مدركة ممن يعتقدون كونهم مختاريــن، مع تمثيل دور العفّة. ومن ثمّ يتشكل حزبان: حزب يمركــز فـي ذاتــه مرّة واحدة وإلى الأبد، كحزب للحقّ، أنّه "الجماعة"، "الأخيار والعادلون"، بينما يضع البقيّة أيّ (العالم) في الجهة الأخرى.

هذا كان الشكل الأكثر شؤماً لجنون العظمة المصادَف فوق وجـه الأرض .. تلـك الطـروح والمسوخ الضئيلة من التُقاة والكذَبـة، بـدأوا يدّعـون لأنفسهم مفاهيم "الله" "الحقّ" "النور" "الروح" "الحب" و"الحكمة" و"الحياة" كمرادفات لذواتهم في مقصد منهم لوضع حدٍّ بينهم وبين العالم.

يهـودٌ صـغار متميزون، ناضجون لكلّ صنف من مشافي المجانيـن قلبوا القيم لأجل ذواتهم، وأداروها لصالحهم. كما لو أنّ المسـيحي صـار بالتأكيد المعنى، الملحّ، والمقياس والحكم النهائي لكلّ الناس الآخرين. كلّ هذه البغضاء النكدة ذات الشؤم، فقط أمكن لها أن تقوم عبر وجود هكذا نمط من جنون العظمة، متماثل سلالياً: عبر اليهوديّ.

ومـنذ ذلـك الحين انشقّت الهوّة بين اليهود والمسيحيين من أصـل يهـوديّ؛ ولـم يـبق للآخرين أيّ خيار غير استخدام التصـرّفات ذاتها لحفظ الذات والتي تسترشدُ الغريزةَ اليهودية ذاتهـا ضدّ اليهود أنفسهم؛ بينما اليهود حتّى الآن، يستخدمونها ضدّ كلّ من ليسوا يهوداً.

إنّ المسيحي هو فقط يهوديٌّ بمعتقد أكثر حرية.

- 45 -

أمضي لتقديم بعض الدلائل عمّا أدخله هؤلاء الناس الصغار[1] في رأس المعلّم، وعمّا وضعوه في فمه. محض اعترافات إيمانٍ من "أرواح علوية".

((وكـلّ مـن لا يقـبلكم ولا يسمع لكم فاخرجوا من هناك وانفضـوا التراب الذي تحت أرجلكم شهادة عليهم. الحقّ أقول لكم ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالاً ممّا لتلك المدينة)) مرقس 6: 11

أيّ انجيليّة!

((وإن أعـثرتك عينك فاقلعها. خيرٌ لك أن تدخل ملكوت الله أعـور مـن أن تكون لك عينان وتطرح في جهنّم النار حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ))

مرقس9: 47 ـ 48.

بالتأكيد ليس العين ما تعنيه هذه الكلمات.

((ومـن أعـثر أحد الصغار المؤمنين بي فخير له لو طوّق عنقه بحجر رحى وطرح في البحر)) مرقس 9: 42

(1) من الصغارة المعنوية.

أيّ انجيليّة هي هذه!

((الحـق أقول لكم أنّ من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتّى يروا ملكوت الله قد أتى بقوّة)) مرقس 9: 1

تكذب جيّداً أيها الأسد[1].

((مـن أراد أن يأتـي ورائـي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني.. لأنّ))

(ملاحظة من نفساني: الأخلاق المسيحيّة مدحوضة بما فيها من "لأنّ": إثباتاتها تفنّد. هذا ما هو مسيحي). مرقس 34:8

((لا تدينـوا لكـيْ لا تُدانوا. لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون)) متّى 7: 1 ــ 2

أيّةُ فكرةِ عدالةٍ، وأيّ قاضٍ عادل!!

((لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأيّ أجر لكم. أليس العشّارون أيضـاً يفعلـون ذلـك. وإن سلمتم على إخوتكم فقط فأيّ فضل تصنعون أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك)) متّى 5: 46-47

مـبدأ "الحـبّ المسـيحي": اسعَ لأن تكون في النهاية حسن المكافأة.

---

[1] رمز مرقس الأسد.

((وإن لـم تغفـروا للـناس زلاّتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاّتكم)) متّى 6: 15 هذا يلقي ضوءاً قوياً يثير الريبة، حول ما قلناه أعلاه عن "الآب".

((ولكن اطلبوا أوّلاً ملكوت الله وبرّه، وهذه كلّها تزاد لكم)) متّى 6: 33

((كـلّ هـذه الأشـياء)) تعني: الغذاء، اللباس، وكلّ ما هو ضروريّ للحياة، وإنّه لخطأ

التحدّث عنها بتهوين وجعلها قليلاً.

قليلٌ بعد ويظهر الله كخيّاط، أقلّه في بعض الأحوال!

((افـرحوا فـي ذلك اليوم وتهلّلوا، فهوذا أجركم عظيم في السماء. لأنّ آباءهم هكذا كانوا يفعلون بالأنبياء)) لوقا 6: 23

أيّة حثالة ليست تخجل، حتّى يقارنوا أنفسهم بالأنبياء.

((أمـا تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم. إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله لأنّ هيكل الله مقدّس، الذي أنتم هو)) كورنثس1 3: 16-17

أفكار كهذه تستحق الاحتقار الأعمق.

((ألستم تعلمون أنّ القديسين سيدينون العالم. فإن كان العالم يدان بكم أفأنتم غير مستأهلين للمحاكم الصغرى)) كونثس1 6: 2

أسفاً أنّ خطاباً كهذا غير منميّ إلى مأوى مجانين فقط؛ وهذا الكــذّاب المــريع يتابع حرفيّاً هكذا: ((ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة فبالأولى أمور هذه الحياة)).. ((ألم يجهّل الله حكمة هذا العــالم؟ لأنّه إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة، استحســن الله أن يخلّــص المؤمنين بجهالة الكرازة ــ فانظروا دعوتكم أيها الأخوة أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد؛ ليس كثــيرون أقويــاء، ليس كثيرون شرفاء ــ بل اختار الله جهّال العــالم ليخزي الحكماء،واختار ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء، واخــتار الله أدنــياء العالم والمزدرى والذي هو لاشيء ليبطل الموجــود، لكي لا يفتخر كلّ ذي جسد أمامه)) 1كورنثوس 1: 20 وما يتلو.

لفهــم هــذا المقطع، الذي هو إثبات من الدرجة الأولى على نفسيّة كلّ أخلاق المنبوذين Chandala، فليُقرأ الجزء الأول من كتابــي ((أصــل الأخــلاق)) ففيه تُظهر إلى النور لأول مرّة المناقضة بين أخلاق نبيلة أرستقراطيّة وأخلاق المنبوذين، هذه الأخلاق التي هي وليدة الضغينة الحقود والانتقام العاجز.

بولس كان الأكبر بين رسل الانتقام.

- 46 -

ماذا يُستنتج من هذا ؟

أنّ المــرء يحسن صنعاً إمّا وضع القفازات عند قراءة العهد الجديد؛ إذ أنّ الدنوّ من هكذا وساخة يكاد يضطرّنا إلى هذا.

لن نرتضي رفقة ((المسيحيين الأوائل))، مثلما لسنا نختار أن نرافق اليهود البولنديين.

لــيس حتّى ضرورياً إشهار الحجّة لمعارضتهم؛ فكلٌ منهما يزفرُ رائحة كريهة.

عبثاً فتّشــت فــي العهد الجديد، علّيْ أجد ولو فقط قَسَمَةَ ظريفة: فما به من شيء حرّ، أريْحيّ، كريم، شريف.

هــنا لم تبدأ حتى الآن الصيرورة البشريّة ــ تنقُص غريزة النظافة.. ليس في العهد الجديد أكثر من غرائز سيئة.. ليس فيه ولا حتّى الاندفاع لتأكيد هذه الغرائز السيئة.

كلّه جبانة.. كلّه: إغلاق أعين وخداعٌ للذات.

كــلّ كتاب يبدو نظيفاً غبّ أن يفرغ المرء من قراءة العهد الجديــد: لإعطاء مثال، فإنني مباشرة بعد قراءة بولس قرأت

وبانخطاف وافتتان حقيقي"*بيترونيوس*"[1] ذلك الساحر الظريف الهجّاء والجريء، والذي يمكن أن يقال عنه ما كتبه "*دومينيكو بوكاشيو*" عن "*سيزار بورجيا*" إلى "*الدوق دي بورما*" :

((إنّــه تام الرسوخ [e Tuttofesto] .. نظيف بدوام، وسعيد بدوام، وناجحٌ تماماً)).

هــؤلاء الــتقاة المــنافقون أخطاوا حساباتهم، وبالتأكيد من الأساس. إنهم هاجَموا، لكن بهذا كلّ ما كان مهاجماً منهم جُعِل مميّزاً.

عــندما ميحيّ من المسيحيين الأوائل يهاجِم، فإن المهاجَمَ لا يكون ملطّخاً... بل بالعكس: إنّه لشرف أن يكون ضدّه مسيحيٌّ بدئي.

إنّ العهــد الجديد لا يمكن قراءته دون الشعور بتفضيل ذلك الــذي يُعامل فيه بسوء؛ ولا نتكلّم عن ((حكمة هذا العالم)) التي يحــاول بجّــاح متعجرف عبثاً أن يحطّ من شأنها عبر عظاته الحمقــاء.. حــتّى أولئك الكتبة والفريسيون استفادوا من هكذا

---

[1] الأرجح أنّه جايوس بترونيوس الذي قُتل بأمر نيرون. بقي بعض كتابه الساتريكون الذي يعني الخليط من نثر وشعر وفلسفة ومغامرات. يقول ول ديورانــت عــن الكتاب: الكتاب كلّه خلوٌ من الرحمة وليس فيه شيءٌ من العطــف علــى الــناس، ولا يهدف إلى مثل أعلى، ويرى كاتبه أنّ الفساد وسوء الخلق أمر طبيعي ولا غبار عليهما.

عداوة: يجب أن يكونوا قد حازوا قيمة ما كيما يكونوا مبغوضين بطريقة مشينة غير ذات لياقة كهذه.

المــراءاة (أو الفرّيســيّة) ستكون اللوم الذي يقدر أن يفعله المسيحيون الأوائل.

وفــي التحلــيل الأخير كان الكتبة والفريسيون هم أصحاب المــيزة إذ أنّه كافٍ بغضاء الطبقة الحقيرة وليس ثمّة حاجة إلى علّة أخرى.

المســيحي الأوّل ، وأخشى أن يكون كذلك المسيحي الأخير الذي ربّما أعيش ما يكفي حتّى أراه، هو ـــ انطلاقاً من غرائز عميقة ـــ تمرّد ضدّ كلّ متميّز.

إنّــه يعــيش دائمــاً ويحــارب دائماً لأجل ((المساواة في الحقوق))!

وإمّــا لوحظ جيّداً، فإنّه لا يملك خياراً آخر. فإذا أراد واحدٌ أن يكون في شخصه الذاتي ((مختاراً من الله)) أو ((هيكلاً لله)) أو ((ديّاناً للملائكة))، إذّاك فإنّ كلّ مبدأ اختيار آخر مؤسساً مثلاً على الشرف، على الهمّة، على الرجولية والفخر، على الجمال، وحريّة القلب، هو ببساطة ((العالم))، الشرّ في ذاته!

مغزى: كلّ كلمة في شفتيّ مسيحي من الأوائل هي كذبة، كلّ فعل من أفعاله هو زيف فطري.. كلّ قيمه، كلّ غاياته هي وبيلة مؤذية، إنّما ما يبغضُ فذاك يمتلك قيمة.

المسيحي، وخصوصاً المسيحي الكاهن، هو معيار للقيم.

أواجبٌ عليّ أن أضيف مع ذلك أنّه في كامل العهد الجديد تُصادَف هيئة واحدة جديرة بأن تُشرَّف؟ إنّه بيلاطوس الوالي الروماني. فأن يأخذ بجديّة قضيّة بين اليهود، فهذا شيء ممّا لا يقوم في نفسه. فأي أهمية ليهوديّ واحد أكثر أو أقلّ؟

الهزء الأرستقراطي لروماني تجاه القيام بتحريف وسوء استعمال لئيم مشين للكلمة: "حقيقة" أغنى العهد الجديد بكلمة وحيدة قيّمة، والتي هي بذاتها الحكم عليه والنقض الهدّام له: ((ما هو الحقّ))[1].

- 47 -

ليس ما يميّزنا كوننا لم نعد نصادف إلهاً لا في التاريخ ولا في الطبيعة، كما ولا فيما خلف الطبيعة، وإنّما كوننا نعدّ ما ينضوي تحت اسم "الله" لا كألوهة وإنّما كبؤس مؤسف ومحال وضرر.. لا فقط كخطأ، وإنّما كجريمة ضدّ الحياة..

---

(1) يوحنا 18: 37-38 "فقال له بيلاطس أفأنت إذاً ملك؟ أجاب يسوع أنت تقول إني ملك. لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحقّ كلّ من هو من الحقّ يسمع صوتي* فقال له بيلاطس ما هو الحقّ؟!"

إننا نرفض الله كونه إلهاً. وإمّا نحن امتحنّا هذا الإله المسيحي، فإنّا ندرك أنّ إيماننا به سيمسي أقلّ.. وحتّى نعبّر بصيغة:[1]

((deus, qualem paulus creavit, dei negatio))

((الله كما آمن به بولس، هو الإنكار لله))

إنّ ديناً كالمسيحيّة لا يلامس الواقع ولا من أيّة نقطة، والذي حالاً يسقط في اللحظة التي يمتلك فيها الواقع حقّه ولو في نقطة واحدة، يجب أن يكون بطبيعته عدوّاً حتّى الموت ((لحكمة هذا العالم)) أعني "للعلم". إنّها (أي المسيحيّة) تستحسن وتستسيغ كلّ الوسائط التي بها يكون ممكناً تسميم وتشويه سمعة، والحطّ من قذر، تعاليم الروح الشهمة، والصفاء والقسوة في أمور الضمير الوجداني، والتحفظ النبيل وحرية الروح.

((الإيمان)) كأمر، هو ((فيتو)) ضدّ العلم.. وعملياً هو الكذب بأيّ ثمن.

ولقد علِم "بولس" أنّ الكذب، وأن ((الإيمان)) أمورٌ ضرورية. ومن جهتها، وفي فترة لاحقة، فإن الكنيسة قد فهمت "بولس".

---

(1) باللاتينية في الأصل.

ذاك الإلــه الذي اخترعه "بولس" وهو إله "يحطّم حكمة هذا العــالم" (بمعنى دقيق، فإنّ العدوّين الكبيرين لكلّ طيرة وخرافة همــا فقــه اللغة والطبّ) في الحقّ أنّ ذلك الإله ليس إلاّ القرار الوطــيد لبولس نفسه كي يعمل هذا: أن يدعو الله ما هو إرادته الخاصّة، وهذا ليس غير نمطيّة يهوديّة.

بولس يريد تدمير "حكمة العالم"، وأعداؤه كانوا علماء اللغة الجيديــن وأطباء المدرسة الإسكندرانية ــ وضدهم شنّ حرباً. فعلــياً لا يكون عالم لغة (فيلولوجي) أو طبيب كذلك عن حقّ، دون أن يكون بذلك، ومباشرة، مضاداً للمسيحيّة.

إن المــرء، كعالِمِ لغةٍ، ينظر فعلياً ما وراء الكتب المقدّسة، وكطبيــب مــا وراء الانحطــاط الجسدي الفيزيولوجي للنمط المسيحي.

الطبيــب يقــول: "لــيس يُشفى".. الفيلولوجي يقول: "كذبة وشعوذة خدّاعة".

- 48 -

أتــراه قدْ فُهم جيّداً في الحقيقة التأريخُ الشهير الموجود في مطلع التوراة والخوف الجهنّمي لله من المعرفة؟

كلاّ لم يُفهم.

هــذا الكــتاب الكهنوتي بتميّز يبدأ، كما لو أنّه الحقّ والأمر الطبيعي، بالضيق الداخلي الكبير للكاهن: إنّه لا يعرف فقط إلاّ خطراً جدياً واحداً، ومن ثمّ فالله ليس يعرف إلاّ هذا الخطر.

الله الهَرِم، كلّ "روح"، كلّ كاهن رفيع المرتبة، وكلّ كمال، يتنزّه بسرور في حديقته، وإنّما يَعروه الملل.

وضدّ الملالة يصارع عبثاً حتى الآلهةُ. ما العمل؟ إنّه يخترع الإنســان بالــنظر إلــى الإنسان كألُهية. لكن قد وجب هنا أنّ الإنسان يملّ أيضاً. والله بردّ فعل وبرحمته غير المحدودة تجاه البلــيّة الوحــيدة الخاصّــة بكلّ الجنّات: يخلق سريعاً حيوانات أخرى. زلّةَ الله الأولى: أنّ الإنسان لم يجد سلوةً في الحيوانات؛ تسلّط عليها ولم يُرِدْ حتّى أن يصير "حيواناً".

بالنتــيجة، يخلــق الله المرأة. وبالفعل فإنّ السآمة لاقت هنا نهايتها، ولكن كذلك انتهت أشياء أخرى! لقد كانت المرأة الزلّة الثانية لله. ((المرأة بجوهرها أفعى، حوّاء))[1] ــ هذا ما يعرفه كــل كاهــن ((من المرأة يأتي كل شر في العالم)) ــ وهذا ما يعــرفه بذات المنحى أيضاً كلّ كاهن ((لكن بالنتيجة، منها أتى

---

[1] اقتباس من يوليوس ولهاوزن "تمهيد في تاريخ إسرائيل" برلين 1883 [P]

كذلــك العلم)). فقط بوساطة المرأة تعلم الإنسان أن يتذوق من شجرة المعرفة.

مــاذا حدث؟ ضيقٌ ملتاعٌ مريع تحكّم بالله العجوز. الإنسان نفسه تحوّل إلى غلطته الكبرى؛ لقد خلق خصماً منافساً، والعلم أقام [من الإنسان] مساوياً لله.

إنّها نهاية الكهنة ونهاية الله إذا ما انقلب الإنسان علمانيّاً!

عــبرة: العلم هو الممنوع بذاته؛ فقط هو الممنوع. العلم هو الخطيئة الأولى وأصل كلّ خطيئة؛ الخطيئة الأصليّة ـــ هذا هو فقط الأخلاق.

((لا تكن ذا معرفة)): والبقيّة تتأتّى من هذه الوصيّة.

خــوفُ وضيق الله المريع لم يمنعه من أن يكون ذكيّاً. كيف يمكــن مقاومـــة العلـــم؟؟ هذا ما كان عبر زمن طويل مشكلته الرئيسة. والجواب: فليُطرد الإنسان من الجنّة!

الســعادة والفراغ سبيل إلى التفكير، وكلّ الأفكار هي أفكار رديــئة.. الإنســان لا يجب أن يفكّر ـ و((الكاهن في ذاته))[1] يبــتدع الإرغام، الموت، الخطر القاتل للتفكير، وكلّ شكل من

[1] صــياغة تشبيهيّة "للشيء في ذاته" عند كانط، وقد دأب نيتشه على نقده. معنىً تحقيري.

بــؤس، الشيخوخة، العناء، وفوق الكلّ المرض. وسائط محضة خالصة في الصراع ضدّ العلم!

البؤس المرغِم لن يسمح للإنسان بالتفكير.

مــع ذلك ثمّةَ ما هو أكثر رعباً!! عمل المعرفة يرتفع مثل برج، متجاسراً على السماء، ومُحِلاً شفق الأرباب، فما العمل!!

الله اخــترع الحــرب، وقسّم الناس، وعمل ما يجعل الناس يــتفانون فــيما بيــنهم. (إنّ الكهــنة كانوا دائماً في عوز إلى الحرب..) والحرب، بين أشياء أخرى، معكّرة عظيمة للعلم.

شــيءٌ لا يُصدّق!! المعرفة، والتحرّر تجاه الكهنة، يتناميان رغم الحروب.

قــرار أخير يتخذه الله الهرم: ((لقد صار الإنسان علمانياً ـــ ليس ثمّة ما يمكن فعله بعد. يجب أن يُغرَق!))..

- 49 -

هــل كنتُ مفهوماً؟ بداية التوراة تضمّ كلّ نفسيّة الكاهن ـــ والكاهن يعرف خطراً واحداً فقط: العلم، والمفهوم السليم للسبب والنتيجة. لكن العلم على العموم يزدهر فقط تحت أجواء سعيدة

مواتية ــ لأجل "المعرفة" يجب احتياز الوقت و "الهمّة النفسيّة" الوافرين للبحث. ((بالتالي: يجب جعل الإنسان غير سعيد)). هذا في كلّ زمان منطق الكهنة، ويمكن أن يحزر ــ تبعاً لهذا المنطق ــ ما وفد أوّلاً إلى العالم: الخطيئة.

مفهوم الخطيئة والعقاب، وكلّ ((النظام الأخلاقي للعالم)) قد تمّ اختراعهم ضدّ العلم ، ضدّ الانعتاق الإنساني تجاه الكاهن... الإنسان لا يجب أن ينظر أبعد من ذاته؛ يجب أن ينظر إلى داخله؛ لا يجب أن ينظر باطن الأشياء بذكائه وفطنة كيما يتعلّم، وبالحريّ ألاّ ينظر البتّة: يجب أن يعاني... ويجب أن يعاني بطريقة تقتضي دوام الحاجة إلى الكاهن.

بُعداً للأطبّاء! إذ الحاجة إلى مخلّص.

مفهوم الخطيئة والعقاب، متضمناً عقيدة "النعمة" و"الفداء" و"الغفران"، أكاذيب تامّة، خالية من كلّ واقعية نفسيّة، ومبتدَعة لتدمير الشعور بالعلّيّة عند الإنسان: إنّها التهجّم على مفهوم السبب والنتيجة! ــ وما هو بهجوم بالقبضات وبالسكين، وبالإخلاص في البغضاء والمحبّة! بل انطلاقاً من الغريزة الأكثر جبناً، الأكثر مكراً واحتيالاً، الأكثر دناءة خسيسة! إنّه هجوم كهنوتي! هجوم متطفّلين! إنّه امتصاص الدماء الخاصّ بعلقة شاحبة ديماسية سردابيّة.[1]

---

[1] هذا تعريضٌ بأماكن اجتماعات المسيحيين الأوائل.

عندما لا تعود النتائج الطبيعة لفعل ما (طبيعيّة)) وإنّما تصوّر بطريقة غرائبيّة [فانتازيا] كأنّها منتجات للخرافة المتطيّرة، و"لإله" و"لأرواح" و"نفوس"، وكنتائج صرف "أخلاقية"، وكمكافأة أو عقاب، وعلامة، وكمقياس لأجل التربية والتأديب، حينها: فإن ظروف المعرفة الملائمة تكون متأذية ومخرَّبة، وحينها تُرتكب الجريمة الكبرى تجاه البشرية.

الخطيئة، أقول من جديد، هذا الشكل الامتيازي للتحقير الذاتي للإنسان، قد ابتُدع كيما يُجعل العلم غير ممكن، والحضارة مستحيلة، والنبل البشري.

الكاهن يبسط سلطته عبر بدعة الخطيئة.

- 50 -

لدى الوصول إلى هذه النقطة لن أدع إبداء تحليل نفسي "للإيمان" وللمؤمنين، فيه منفعة واضحة، بالتأكيد، للمؤمنين.

إمّا لم يكن اليوم قلّة أولئك الذين لا يعرفون إلى أيّ حدّ من شين تبلغ الكينونة "مؤمن"، أو كيف أنّ ذلك علامةُ انحطاط ونقص في إرادة الحياة، فلسوف يُعرف غداً.

إنّ صوتي ليصل كذلك إلى تلك الأسماء الثقيلة: يظهر ــ إمّا لم أكن قد سمعت بشكل رديء ــ أنّه يوجد بين المسيحيين نوعٌ مــن معيار للحقّ، يُدعى "اختبار القوّة": ((الإيمان يجعلنا سعداء ومن ثمّ فهو حقيقي)).

قــبل كــل شيء يمكن هنا الاعتراض بأنّ هذه السعادة غير مثبــتة مؤكّداً، وإنّما هي لا تعدو كونها وعداً: الغبطة السرمدية ترتــبط بظــروف الإيمان ــ يجب أن تُدرك السعادة إمّا وجد الإيمان.. لكن!

أي شــيء يبرهــن أنّــه ســيحدث بالفعل ما يَعِد به الكاهنُ المؤمــنَ، في الآخرة العصيّة على كلّ تثبّت؟! والزعم "اختبار القــوّة وإثباتها "ليس إذاً بدوره غير اعتقاد بأنّ ما ينتظره المرء من الإيمان لن يلبث أن يقدّم نفسه.

فــي صــيغة مناسبة: "في عقيدتي أنّ الإيمان يهب الغبطة المطوّبة للإنسان، وبالتالي هو حقيقي".

إنّمــا بهــذا نكون قد وصلنا إلى النهاية.. هذه الـــ "بالتالي" تَجْعَلُ الباطلَ المحالَ نفسه مأخوذاً كمعيار للحق.

فلنفــترض ــ مع ذلك، ومع شيء من التساهل ــ ثبوتيّة أنّ الإيمان يضمن السعادة ــ لا فقط تطلّعاً، لا فقط وعداً من الشفاه المريــبة للكاهن ـــ: أفتكون الغبطة مَرّةً ــ ولأتكلّم بشكل أكثر تقنيّة ــ أيكون السرور برهاناً على الحقّانيّة؟

لــيس هو كذلك بل لعلّه إثباتٌ للعكس، وفي كلّ حالة يُعطى الانطــباع بالشــكّ الأكــثر توجساً تجاه الحقيقة، عندما مشاعر السرور تبادر إلى الكلام متسائلة: "ما هي الحقيقة"؟

إن ما يثبته السرور هو إثبات للسرور، فقط لا أكثر.

علــى أيّ أســـاس يمكن أن يُستنتج التأكيد بأنّ تلك الأحكام الحقّــة تســبب سروراً أكبر ممّا تسبّبه تلك الزائفة وأنّها، تبعاً لتوافق متناغم مقدّر مسبقاً[1]، تحمل معها حتماً مشاعر مسرّة؟

إنّ تجربة كلّ النفوس الصارمة والعميقة تشير إلى العكس.

فــي الصــراع لأجل الحقّ، يجب أن يُنتزع بعزم وافر كلُّ شبر، ويجب أن نكرّس من أجله تقريباً كلّ ما هو ممتع لقلوبنا، لحبنا، وداعمٌ لثقتنا في الحياة. لأجل هذا تُقتضى عظمة النفس، إذ خدمة الحقيقة هي الخدمة الأكثر مشقة.

مــاذا يعنــي الصيّر إلى النزاهة في أمور الروح؟ يعني أن نكون صارمين مع قلوبنا محتقرين "للمشاعر الجميلة"، وأنّه في كلّ إثبات ونفي (نعم، لا) تقوم حالة من حالات الضمير[2].

---

(1) مفهوم لدى ليبنتز لشرح العلاقة بين الجسد والروح [P]

(2) يجــدرُ الالتفات إلى المعنى الأوسع في الإنكليزية لكلمةConscience والإسبانية consciencia إذ تعني الإدراك الواعي لا محض "الضمير" بما يحمــل فــي تعبــيره العربــي من طبيعة مضمرة وبما هو جبلة أصلية! وكأنّه"صوت الله فينا"!! نيتشه يصحّح هذا الفهم اللاحق.

الإيمان يجعلنا سعداء،وعليه، فإنّه يكذب.

- 51 -

كون أنّ الإيمان في ظروف معيّنة يَهَبُ الإنسان غبطة، وأنّ الغبطة حتّى الآن مع ذلك لم تجعل من فكرة ثابتة فكرةً حقّة، وأنّ الإيمان لا يحرّك الجبال وإنّما يقيم جبالاً حيث لا يوجد جبال: ما هو كفاية حول هذا تكشفه لنا جولة في مأوى المجانين.

وهذا بالتأكيد لا يُقْنِع الكاهن: لأنه يرفض بالغريزة أنّ المرضَ مرضٌ ومأوى المجانين مأوى مجانين.

المسيحيّة تحتاج إلى المرض بمقدار ما يحتاج أولئك الأغارقة إلى وافر الصحّة.. والإمراض هو المقصد الخفيّ الحقيقي لكلّ نظام المعالجة الخاصّ بالكنيسة.

والكنيسة نفسها؟! أليست أنها مأوى المجانين الكاثوليكي، الغاية في المثال؟ وكذلك العالم في اعتبارات عامّة كمأوى للمجانين؟ إنّ الإنسان المتديّن ـ كما تريده الكنيسة ـ منحطّ نموذجي؛ وفي كلّ زمن، تتحكم فيه بشعب أزمة دينيّة، فإنّه

يتميّز بجائحة عصبيّة؛ و((العالم الداخلي)) للإنسان المتديّن يظهر مشابهاً للعالم الداخلي للمتهيجين بزيادة والمنهكين، وحتّى لا يتمايز عنه.

تلك الحالات السامية للروح التي تموضعها المسيحيّة فوق البشريّة كقيمة القيم هي حالات صَرَعيّة.. وإنّها لتكرّس في كليّة شرف الله حصراً المجانين أو كبار المحتالين.

لقد سمحتُ لنفسي في إحدى المناسبات أن ألقّب كلّ التدريب المسيحي للتوبة والخلاص (والذي هو مدروس اليوم خصوصاً في انجلترا) كجنون دوري [Foliecirculaire][1] متحصّل منهجيّاً ـ كما هو مفترضٌ وواضح ـ فوق أرضيّة معدّة لأجله، وهذا يعني: ممراضة بالكليّة.

ليس من أحد حرّاً في صيرورة مسيحيّاً.. والمرء لا يُهدى إلى المسيحيّة: يجب أن يكون مريضاً بما فيه الكفاية لأجلها.

نحن الآخرين الذين يمتلكون الشجاعة الكافية ليكونوا أصحاء ومحتقرين: بأيّ عمق علينا أن نحقر ديناً علّم أن ينظر إلى الجسد بسوء!.. ولم يرد أن يتخلّص من خرافات النفس المتطيّرة!.. والذي يعدّ نقص التغذية جدارة وفضلاً!.. والذي

---

[1] في شذرة من عام 1888 كتب نيتشه: "الهوس الديني يظهر عادة في شكل جنون دوري بحالتين متناقضتين: الانكماش المنحطّ، والاندفاع." [P]

يحارب في الصحّة شكلاً من عدوّ، من شيطان، من غواية!.. والذي يتصوّر باقتناع أنّه من الممكن حمل روح كاملة في جسد هو جثّة، والذي لأجل هذه الغاية قد وجب عليه أن يشكّل مفهوماً جديداً للكمال: مخلوقاً شاحباً، مرضيّاً، متعصّباً بجهالة، مدعوّاً "القداسة".. القداسة التي هي نفسها ليست أكثر من سلسلة علامات عن الجسد المُضنى، المُفقَر، المتعفّن إلى درجة لا يمكن معها الشفاء!

الحركة المسيحيّة كحركة أوروبيّة، هي مقدّماً ومن أساسها، حركة لعناصر الحثالة والحقارة من كلّ صنف، والتي تريد امتلاك القدرة من خلال المسيحيّة.

إنّها لا تعبّر عن انحطاط جنس، وإنّما هي كتلة مختلطة من أشكال شتّى للانحطاط، ومن كلّ مكان تُتقرّى وتّراكم.

ما جعل المسيحيّة شيئاً ممكناً ليس انحلال وفساد القديم، القديم الأرستقراطي؛ فأبداً ليست تُناقض وتُنتقد بصلابة كافية الجهالةُ المتفقّهة التي تدعم حتّى اليوم وجهة نظر كهذه.

– ففي الفترة التي فيها نُصّرت الطبقات السقيمة والمتعفنة من الحثالة [Chandala] في كلّ الإمبراطورية[1]، صودف بكلّ

---

(1) imperium باللاتينية في الأصل

جلاء النمط المعاكس، الأرستقراطيّة، في شكلها الأكثر جمالاً ونضجاً.

العدد الأكبر توصّل ليصير سيّداً، وديمقراطية الغرائز المسيحيّة تغلّبت .. المسيحيّة لم تكن "قوميّة"، ولم تكن مشروطة ومرتهنة بالجنس، فقد توجّهت إلى كلّ صنف من المحرومين من الحياة، ولاقت في كل صقع أحلافاً.

المسيحيّة تقوم على قاعدة من ضغينة[1] المرضى الحاقدة، الغريزة الموجّهة ضدّ الأصحّاء، وضدّ الصحّة. [إنّ كلّ ما هو موفّق، متفاخر، سام]، وفوق الكلّ الجمال، يجرّح الأسماع والعيون.

سألفت الانتباه مرّة أخرى إلى كلمات بولس التي لا تثمّن:

((الذي هو تجاه العالم ضعيف.. الذي هو تجاه العالم جاهل، الذي هو غير نبيل، ومحتقرٌ، ذاك الذي اختاره الله))

هذه كانت الصيغة، "وتحت هذه العلامة" [in hoc signo][2] تغلّبت الحطّة.

---

(1) rancune باللاتينية في الأصل

(2) صيغة مأخوذة من الرواية الزاعمة أنّ الإمبراطور الروماني قسطنطين الكبير 337- 306 في حربه مع مكسنتيوس ظهرت له علامة صليب من نور ذا تغلّب. أمّا يوسابيوس القيصري في الكتاب التاسع الفصل التاسع فقرة 10 و11 فيقول إنّه بعد انتصاره "وقد رأى أنّ معونته كانت من قبل

الله معلقاً على الصليب! أحتّى الآن لم تفهم الفكرة المريعة المختبئة وراء هذا الرمز؟!

كلّ ما هو معاناة، كلّ ما هو معلّق على الصليب، هو إلهيّ. نحن جميعاً معلقون على الصليب، وبالتالي كلّنا إلهيون. ونحن فقط المؤلّهون والمقدّسون..

المسيحيّة كانت نصراً، وبها حُطّمت ذهنيّة أكثر نبلاً. لقد كانت المسيحيّة حتّى اليوم البليّة المشؤومة الأكبر ضدّ البشرية.

- 52 -

تقوم المسيحيّة كذلك في مناقضة لكلّ عقليّة حسنة التكوين؛ إنّها فقط تستفيد من العقل المريض بوصفه عقلاً مسيحيّاً.

تتحزّب لكلّ ما هو أبله، وترمي بلعْنتها ضدّ كلّ ذي همّة ونخوة، وضدّ رفعة العزم السليم..

الله، أمر في الحال بأن يوضع في يد تمثال تذكار آلام المخلص علامة الصليب المخلص وينقش عليه: بهذه العلامة المقتدرة أنقذت مدينتكم، روما".

وبما أنّ المرض ينتمي إلى طبيعة المسيحيّة، فكذلك الحالة النمطيّة للروح المسيحيّة: الإيمان، فيه ما يقيم منه شكلاً من مرض؛ وكلّ تلك الطرق المستقيمة الشريفة العلميّة التي تقود إلى المعرفة، هي هكذا يجب أن تكون مرفوضة من المسيحيّة كطرق ممنوعة..

الشكّ وقد صار خطيئة، والغياب التام للعناية بالنظافة الجسديّة لدى الكاهن ـ ويَشي بذلك النظر ـ هي نتيجة للانحطاط... يُلاحظ في النساء الهستيريّات، ومن جهة أخرى في الأطفال الخَرعين، كيف ينتظم بشكل شائع التزييف الغريزي، ولذّة الكَذب لأجل الكذب، وعدم القدرة على النظر والتقدم إلى الأمام، بوصفها تعابير ومظاهر عن الانحطاط.

الإيمان يعني "عدم ـ الرغبة" في معرفة ما هي الحقيقة.

ذو التقوى، الكاهن لكلا الجنسين، هو زائف لأنّه مريض: غريزته تقتضي ألاّ يسود الحق في أية نقطة: ((ما هو مريض هو خيّر.. ما يتأتّى عن الحق وعن وفرة وتَرابي العزم هو شر)) هكذا يفتكر المؤمن.. انعدام الحرية تجاه الكذب هذا هو الملمح الذي يتكشّف لي من خلاله أيُّ لاهوتي مكرّس سلفاً.

أمر آخر غَريزيّ عند اللاهوتي: عدم تمكّنه من فقه اللغة؛ إذ بفقه اللغة، وضمن معنى عامّ جداً، يُفهم فنّ القراءة الجيدة، فنّ

القدرةَ على قراءة الأعمال دون تزييفها عبر التأويل، ومن غير أن يُضيِّع السعيُ الدؤوبُ إلى الفهم الفطنةَ والصبر والتدقيق.

علم اللغة كتثبّت مدقّق في التأويل يُتعامل به الآن مع الكتب، والأنباء الصحفيّة، ومع التقديرات والوقائع المناخيّة، حتّى لا نتكلّم بشيء عن "خلاص النفس".

إنّ الطريقة التي يؤوّل بها لاهوتيّ، سواء صودف في برلين أو في روما، ((كلمة من الكتاب))، أو حادثة، وعلى سبيل المثال انتصاراً لجيش بلاده، على ضوء علويّ من مزامير داود، هي دائماً طريقة تحكميّة، بحيث تجعل الفيلولوجي فاقد الصبر ومجنوناً.

وماذا يقال عندما أولئك التقاة، وتلك الأبقار السوابيّة[1] يسوّون العيش اليومي التاعس، وهذا المأهل المفعم بالدخان، والذي هو وجودهم، بـ (إصبع الله) جاعلين منه أعجوبة "نعمة" و"عناية إلهية"، ومعجزة "اختبار الخلاص"؟!!

إنّ حظّاً متواضعاً من تشدّد النفس والعبقرية، حتّى لا نقول من اللياقة، يجب أن يُري هؤلاء المؤولين الصبيانيّةَ الكليّةَ في هذا الاستعمال المشين لشعوذة "إصبع الله"..

---

(1) حيث يقع معهد توبنجه اللاهوتي في سوابيا والمتأثر بشدّة بالحركة التقويّة.. فهو يسخر من السوابيين. راجع فقرة 10.

إمّا حُزنا قدراً من التقوى في الجسد، أقلّ ممّا هو عليه، فإنّ الله الذي يداوينا من نزلة برد، والذي يجعلنا نصعد إلى العربة في اللحظة الأكيدة التي فيها يبدأ انسكاب مطر غادق، يجب أن يكون عندنا ـ إلهاً محالاً، وإمّا وُجِد يجب أن يُبطَل.

إلهٌ كساعٍ، كحامل للرسائل، كبائع جوّال، هو في حقيقة الأمر كلمة لتعيين النوع الأكثر حمقاً بين كلّ المصادفات.. ((العناية الإلهية)) كما يُعتقد بها حتّى الآن كثلثٍ في العبادة الألمانية، تصبح معارضَةً ضدّ الله لا يمكن إزاءها التفكير بأخرى أكثر شدّة!

وفي كلّ الأحوال هي معارضة ضدّ الألمان!

- 53 -

أنّ الشهداء يدلّلون بمعاناتهم على حقيقة، هو اعتقادٌ بالغ البطلان بمقدار ما أني أميل إلى إنكار أنّه قد وجد أيّ شهيد يملك، بأيّ معنى، شيئاً يراه عبر الحقيقة..

في النبرة التي يرمي من خلالها الشهيد في وجه العالم معتقده، تتبدّى دركةٌ بالغة الانخفاض من النزاهة العقلية، وخُرقٌ إزاء مسألة الحقّ ممّا لا يحتاج دحضه إلى شهيد.

ليست الحقيقة هي مالا يملكه واحد ويملكه الآخر،إذ هكذا فقط يمكن أن يفكّر حول الحقيقة، كحدّ أقصى، أولئك الريفيون أو الرسل ـــ القرويون على طريقة لوثر.

ويتّسع المجال للتأكيد أنّه تبعاً لدرجة التشكّك وشدّة الارتياب المدقّق في المسائل الروحية يتنامى كلّ مرّة أكثر التواضع والتحفّظ في هذه النقطة.

الاستجابةُ للمعرفة حول خمسة أشياء والدفع بأيدٍ نحيلة وبحساسية معرفة المناقض لها ورفض البقيّة..

((الحقيقة)) كما يفهم هذه الكلمة كل نبيّ، وكلّ مشايع متعصّب وكلّ مفكّر حرّ، وكلّ عالم اجتماع، وكلّ كهنوتيّ، برهان نهائيّ على أنّه لم يجدْ حتّى بدايةً له ذلك التدريب الروحي وتعليم تجاوز الذات، المُعوَزان لإيجاد أيّ مقدار من الحقيقة ولو في أقلّ ما يكون.

أولئك الشهداء ـــ ونقول ذلك عرضاً ـــ كانوا مصيبة كبيرة في التاريخ: لقد ضلّلوا وغرّروا .. وإنّ استنتاج كلّ أولئك البلهاء بمن فيهم النساء والعوامّ، أن السبب الذي يندفع باسمه

واحد إلى التضحية بنفسه (أو ما يولّد ـــ كالمسيحيّة الأولى ـــ جانحة تدفع بالناس إلى نشدان الموت) يملك أهمية في ذاته، هذا الاستنتاج يقوم عائقاً لا يوصف يحول دون النقد وروح التحليل والحذر..

الشهداء أضرّوا بالحقيقة.. وحتّى اليوم يُحتاج فقط إلى ملاحقةٍ بها بعض قسوة لخلق اسم مشرّف لحركة متعصبة لا مبالية في ذاتها. كيف؟! أفيكون ممكناً أن التضحية لأجل قضيّة ما يغيّر قيمتها؟

خطأً يصل إلى أن يكون مشرّفاً لهو خطأٌ يمتلك من الفتنة قدراً يجعله مغوياً.

أتعتقدون أنتم أيها السادة اللاهوتيون أننا سنتيح لكم أن تكونوا شهداء بسببٍ من كذبتكم؟

تُنقض قضيّة بوضعها بعناية في الثلج، وبذات الطريقة يُنقض اللاهوتي.

وبالتأكيد على هذا قامت، في تاريخ العالم، الحماقة المتعالية لكلّ أولئك المضطهدين: بإعطاء مظهرٍ مشرّفٍ لدعوى معادية، وبمنحها جاذبيّة الشهيد.

وحتّى اليوم تتابع المرأة وقوعها على الركب أمام خطأ، بسبب أنّه قد قيل لها إنّ أحدهم قد مات على الصليب لأجلها. ألعلّ الصليب إذاً حجّة؟!

لكـن عـن هذه الأمور كلّها ثمّة واحد فقط قال الكلمة التي كانت هناك حاجة إليها عبر العصور ــ "زرادشت":

((بعلامات الدم تخطّون فوق الطريق التي تسلكون، وجهالتكم تعلّم أن الدم يشهد للحقّ.

لكـنّ الـدمّ هو الشاهد الأردأ للحقّ، وإنّه ليسمّم حتّى التعليم الأكـثر نقاءً، مصيّراً إياه هذياناً وتبغضاً في القلوب، وإمّا عبر أحدهم اللهيب لأجل عقيدته، فماذا يبرهن هذا؟!

أكـبر أهميّة منه في الحقيقة، أنّ العقيدة الذاتية تتدفق متقدة بلهيبها الذاتيّ)). (زرادشت ــ الجزء الثاني ــ فصل الكهنة).

- 54 -

لا تكونــنّ مخدوعين: النفوس العظيمة متشكّكة. "زرادشت" متشكك..

العـزيمة، والحـرية المتأتيّة من القوّة ومن فرط قوّة النفس تتجلّى عبر الشكيّة.

مـن لهـم معتقدات من ذواتهم لا يستأهلون أن يؤخذوا في الحسـبان تجـاه كـلّ المبادئ الأساسية للقيمة واللا قيمة. إنّ

المعتقدات هي سجون... إنّها لا ترى بعيداً بما فيه الكفاية، ولا تـرى مـا تحتها. لكن حتّى تستطيع أن تتكلّم عن القيمة وعدم القيمة يجب أن تنظر خمسمئة عقيدة تحتها ووراءها.

الـروح المتطلّعة إلى أشياء عظيمة وتريد أن تمتلك الوسائل للإمساك بها هي بالضرورة شكّاكة.

الـتحرّر مـن كـلّ صنف من العقائد وملكةُ النظر بحريّة، ينتسـب إلـى القوّة.. العاطفة الأعظم، التي هي أساس واقتدار الكينونة التي تنتمي إليها، هي أكثر تميّزاً ومع ذلك أكثر استبداداً مـنها، إذ تحتكر كلّ ذهنيّتها وتضعها في خدمتها؛ إنها تصرف فـرطَ التشكك المدقّق، وتعطي شجاعة إلى حدّ استخدام وسائل أثيمة؛ وفي ظروف ما تمنح قناعات.

العقيدة يمكن أن يكون أداة: إنّ كثيراً من الأشياء تُحصّل عن طريق العقيدة.

العاطفة العظيمة تستخدم المعتقدات وتستغلّها، ولا تخضع لها إذ أنها تُدرك سيادتها.

بالمقـابل: الحاجة إلى الإيمان، إلى شيء مطلق، إلى إثبات ونفي؛ "الكارليليّة" إمّا شئتم مسامحتي عن هذه الكلمة، هي حاجة ذاتيّة يمليها الضعف[1].

---

[1] توماس كارليل (1881- 1795) نشر في 4- 1833 كتاب سيرة عقلية الضـامّ لعنوانيـن "الـنعَم الأبدي" و"اللا الأبدي" حيث وصف فيهما طريق

إنسان الإيمان؛ المؤمن، من أي صنف كان، هو بالضرورة تابع وغير مستقلّ، إنه من لا يقدر أن يوطدّ ذاته كفاية، أو يوجِد مقاصد مستنبطة من ذاته.

المؤمن لا ينتمي إلى ذاته، فقط يمكن أن يكون أداة، ويوجب أن يكون مستخدَماً، ويحتاج إلى آخر كيما يستخدمه.

غريـزته تمنح الشرف الأعظم للأخلاق اللا شخصيّة (إنكار الـذات)[1]: كلّ شيء يقنعه بذلك ــ ذكاؤه، خبرته، عبثيّته. كل شـكل من إيمان هو بذاته تعبير عن هذه اللا شخصيّة، وتنازل عن الذات.

وإذا مـا قدّرنا كم أنّه ضروري إيجاد منظّم للعدد الأكبر[2] مـن الـناس، يـربطهم ويقيّدهم من الخارج، وكم أنّ الإكراه، وبمعنى أسمى، الاستعباد، هو الظرف الوحيد والنهائي الذي في ظلّه يترعرع الإنسان ذو الإرادة الواهنة وبالأخصّ النساء: إذّاك أيضاً يُفهَم الاعتقاد والإيمان.

المؤمن ذو العقيدة يملك في عقيدته عموده الفقري.

الافـتداء مـن الفلسفة المفيستوفيليسيّة (الشيطانية) للتجريبيّة المتشككة، إلى الفلسفة المتوقدة للمثالية. [P].

(1) يستخدم نيتشه تعبير Ent-selbung ويتألف من Ent التي تعطي معنى التخلّي أو المعارضة لما نُلحق به، selbung وتعني الخصوصية، الذات. [P].

(2) قارن مع 57.

عـدم رؤية أشياء كثيرة، عدم الشعور بحافز البتّة، السلوك دائمـاً واحداً من جماعة، امتلاك رؤية متعنتة وحتميّة تجاه كلّ القيم، هذا فقط يوجد ظرفاً مناسباً لهكذا نوع من الناس.

إنّمـا بهذا يوجَد النقيض،والمقابل المعادي للإنسان الصادق الحقيقي، وللحقيقة.

ليس المؤمن حرّاً عموماً لامتلاك ضمير تجاه مسألة الحقّ أو غـير الحـقّ.. الصيرورة شريفاً مخلصاً في هذه النقطة يعني غَرَقه العاجل ودماره.

المحدوديّـة الضـيّقة المرضـيّة لنظرته تجعل من الإنسان المؤمن متعصبّاً:

"سـافانارولا"، "لوثر"، "روسو"، "روبسبيير"، "سان سيمون"، هم النمط المعاكس للنفس العَزُومة، وللروح الحرّ.

لكـنّ تلـك الهيئات الكبيرة لهذه الأرواح المريضة، لهؤلاء المصاريع الفكريين، هي ما تُنزِل تأثيراً على الجماهير الكبيرة.

المتعصّـبون هـم لوحـات تصويرية والبشرية تؤثِر رؤية الهيئات على سماع الحجج.

.55.

خطوة أخرى بعدُ في نفسيّة الاعتقاد، و"الإيمان".

منذ زمن طويل قد أخذتُ في الحسبان إذا لم تكن المعتقدات أعداءاً أعظم خطراً على الحقّ من الأكاذيب [إنساني، مفرطٌ في إنسانيته][1].

هــذه المرّة أريد أن أسأل السؤال الحاسم: أيوجد في النهاية تناقضٌ بين الكذبة والعقيدة؟

كــلّ الناس يعتقدون أنه يوجد. لكن! أيّ شيء لا يعتقده كلّ الناس!!

كلّ اعتقاد يمتلك تاريخه، أشكاله المسبقة، محاولاته، هفواته: إنّــه يــتحول ليصير اعتقاداً بعد زمن طويل لم يكنه، بعد زمن أطــول فــيه بالكــاد والجهد الجهيد امتلك أن يكون له وجود. كــيف؟! ألــيس ممكناً أنّه خلال هذه الأشكال الجنينية للاعتقاد تتشكل كذبة الكذبة؟

---

[1] انظر مثلاً الفقرة 483: "أعداء الحقّ: المعتقدات هي أعداء للحقيقة أكثر قدرة في المعاداة من الأكاذيب".

مــن حيــن لآخر توجد ببساطة حاجةٌ لتغيّر الأشخاص: مع الابن يَحول إلى عقيدة ما كان مع الأب كذبة فقط.

أدعــو كذبة عدم الرغبة في رؤية شيء مرئي، واللا- إرادة لرؤيته بالطريقة التي يُرى بها: وإذا ما كانت الكذبة تتحقق تجاه شهود أو بدونهم، فإنّ هذا خلوٌ من الأهميّة.

الكذبــة الأكثر شيوعاً تلك التي بها يكذب امرؤٌ على نفسه، الكذب على آخر هو نسبياً حالة استثنائية.

والآن، فهذا الرفض لرؤية ما هو مرئي،و عدم إرادة الرؤية له كما يُرى، هو الظرف الأساسي المهيئ لكلّ الذين يشكلون ــ بمعنى ما ــ زمرةً، وعصبة: رجل الزمرة يتحوّل ضرورةً إلى كَذاب.

إنّ المؤرخيــن الألمــان، كمــثال، مقتنعون أنّ روما كانت الاستبداد وأنّ الألمان حملوا إلى العالم روح الحريّة.

فما الفرق بين هذا المعتقد وكذبة؟

أيمكنــنا أن نندهش من أنّ كلّ المتحزبين، وحتّى المؤرخين الألمان، يملكون غريزيّاً في أفواههم الكلمات الكبيرة الأخلاقية، ومــن أن الأخلاق تحيى فقط تقريباً لأنّ رجل التحزّب من كلّ صنف تملكه ضرورة إليها في كلّ لحظة؟

((هـذه هـي عقيدتـنا: وإننا لنجاهر بها العالم، نحن نحيى ونموت لأجلها.. الاحترام لكلّ من يملكون عقيدة)).

كلمات كهذه سمعتها حتّى من أفواه المعادين للساميّة.

بالمقـابل أيّهـا السـادة، فإنّ معادٍ للسامية ليس أكثر لياقة واحتراماً لكونه يكذب بطريقة أصلية منتظمة.

إنّ الكهـنة الذيـن في هكذا أمور هم أكثر دهاءً، ويعرفون تماماً وبشكل أفضل، التعارض الكامن في مفهوم العقيدة، يعني في الكذب الممارس بشكل منهجي، وأساساً لأنّه يلائم الغاية، قد ورثـوا مـن اليهود المقدرة ليُدخلوا في هذا الأمر فكرة "الله"، "إرادة الله" و"الوحي المقدّس". وإنّ "كانطْ" نفسه بأوامره القطعيّة، صودف في الحالة ذاتها، والعقل عنده عاد عمليّاً:

– ثمّـة مسـائل، تقريرُ ما فيها من حقّ أو بطلان لا يُسلّم قياده للمرء: كلّ تلك المباحث الرفيعة، كلّ تلك المشاكل السامية القـدر تكون فوق العقل البشري... إدراك حدود العقل هذه هي فقـط الفلسفة الحقيقيّة. لماذا يحمل الله الوحي إلى الإنسان؟ هل يفعل الله شيئاً نافلاً ولا حاجة له؟ الإنسان لا يقدر أن يعرف من نفسـه مـا هو خير وما هو شرّ. لذلك يرشده الله إلى إرادته.. مغـزى أخلاقـي: الكاهن لا يكذب ــ السؤال عمّا هو "حقيقي" وعمّـا هـو "لا حقيقي" لا يوجد في الأشياء التي يتحدّث عنها

الكاهـن.. هـذه الأشياء لا تسمح حتّى بالكذب.. ذلك أنّه لأجل الكـذب تتوجـب القدرة على تقرير ما هو هنا الحقّ، لكن هذا بالتأكيد لا يستطيع أن يقرّره الإنسان: الكاهن هو إذاً ممثّل الله(1).

هـذا القياس الكهنوتي ليس، ولا بأية طريقة، يهودياً فقط أو مسيحيّاً:

حـقّ الكـذب والأهلـيّة لتلقي الوحي هما خاصيّتان للنوع الكهني، بمقدار ما ذاك لكهنة الانحطاط هو كذلك لكهنة الوثنيّة؛ (إنّ الوثنيـين هـم أولئك الذين يقولون أجل للحياة، والله عندهم كلمة لقول أجل عظيمة لكلّ الأشياء).

التشـريع، الإرادة الإلهية، الكتاب المقدّس، الوحي، هي فقط كلمـات، تعيّـن الظـروف التـي يحصّل فيها الكاهن القدرة المتسلّطة، وبها يحافظ على قوّته. هذه المفاهيم توجد في أساس كـلّ التنظيمات الكهنوتية، وكلّ الأشكال الكهنوتيّة والفلسفة ــ الكهنوتيّة.

الكذبة المقدّسة شائعة عند "كونفوشيوس" وفي "قانون مانو"(2) وعند "محمّد" والكنيسة المسيحيّة، وليست تعوز "أفلاطون".

(1) كلّ هذه الفقرة سخرية مرّة متمرمرة تحكي مواقف "كانط".

(2) Manu shastras المشـرّع الهـندي في المرحلة الملحمية ذو الشهرة الأسطورية الذي ينسب إليه هذا العمل والذي شكل القاعدة القوية للعديد من النظم القانونية وسلّم القيم الأخلاقية.

"الحقـيقة موجـودة هنا" هذه الكلمات حيثما نُطِقَ بها تعني: الكاهن يكذب.

- 56 -

في النهاية، جوهر الأمر يكمن في الغاية من الكذب.

واعتراضـي على وسائل المسيحيّة هو أنّ هذه ينقصُها تلك الغايات "المقدّسة" فثمة فقط غايات رديئة: تسميم، افتراء، إنكار للحـياة، احـتقار للجسد، حطّ وتحقير ذاتي للنفس عبر مفهوم الخطيئة. وبمقدار سوء هذا فوسائلها سيئة وشريرة.

يعتمل فيّ الشعور النقيض عند قراءة "قانون مانو": عملٌ سامٍ وروحي لا يمكن أن يُضاهى. والإشارة إليه سويّة مع التورات تكون خطيئة ضدّ الروح، وسراعاً يُحذر لماذا: لأنّه يمتلك خلفيّة مـن فلسـفة حقيقيّة، توجد في داخله كذلك، لا أنّه يهوديّة نتنة، مخـتلطة مـن حاخامية "Rabinismo" وتطيّر مخادع؛ ولأنّه يعطـي حـتّى أولئك النفسانيين الأكثر لطفاً شيئاً يعضّونه ولا يـتركهم صـفر اليدين، ودون نسيان الأساس والفرق الجذري العمـيق تجـاه كـلّ صـنف توراتي: الطبقات الأرستقراطيّة،

الفلاسفة، المحاربون هم الذين في "قانون مانو" يحكمون الشعب ويسودونه؛ عبر كلّ نظم القيم الأرستقراطيّة، وبشعورٍ بالكفاية، وتأكيدٍ للحياة، ومسرّة غلاّبة بالذات وبالحياة، هذا الكتاب يكون مسربلاً بالشمس ومؤتلقاً[1].

كـلّ تلك الأمور التي سَكبتْ فوقها المسيحيّة حطّتها التي لا يسـبر لها غور، وكمثال: الإنجاب، المرأة، الزواج، تعامل هنا في "قانون مانو" بجديّة وتوقير، بحبٍّ وثقة.

كيف يمكن أن يوضع بين أيدي النساء والأولاد كتاب يحتوي هذه العبارة الشائنة:

((ولكن بسبب الزنا فليكن لكلّ واحد امرأته، وليكن لكلّ واحد رجُلها.. لأنّ التزوّج أصلح من التحرّق)) اكو 7: 2، 9

كـيف يمكـن للمرء أن يكون مسيحياً حين يجد أنّ أصول سلالته قد نُصِّرت، هذا يعني دُنِّست بمفهوم (الحبل الدنس)؟

(1) فـي كتابه كبار مفكري الهند ومذاهبهم يستشهد ألبرت اشفيتزر بما قاله نيتشه أعلاه ليأخذ عليه أنّه لم يفهم أنّ روح الإنكار هي التي تؤثر في هذه القوانيـن ويتابع: "وفي كتابه إرادة القوة كتب نيتشه يقول: في قوانين مانو يوجـد نوع من الساميّة، أي من روح الكاهن، أسوأ ممّا يوجد في أيّ مكان آخر". لكن نيتشه يأخذ الأمر من وجهته.

لست أعرف أبداً كتاباً يجعل المرأة أهلاً لهكذا أشياء لطيفة وكريمة، ككتاب "قانون مانو".. فأولئك العجائز القديسون يتعاملون مع النساء بكياسة ولطف لم يُجاوَزا أبداً:

((فم امرأة ــ يُقرأ فيه ــ صدر صبيّة، صلاة طفل، دخان ذبيحة، هي دائماً نقيّة)) وفي مكان آخر: ((لا يوجد ما هو أكثر نقاءً من نور الشمس، ظلّ البقرة، الهواء، الماء، النار ونَفَسُ صبيّة)) عبارة أخرى لعلها أيضاً كذبة مقدّسة: ((كلّ الفتحات من فوق السرة هي طاهرة، كلّ الفتحات تحتها دنسة. فقط في صبيّة، جسدها بكليّته طاهر)).

- 57 -

عدم قداسة الوسائل المسيحية يُضبط بالجرم الجليّ عندما تُقارَن الغائية المسيحيّة مع غائيّة "قانون مانو" ويوضع تحت نور قويّ هذا التباين الأقصى للغايات.

نقد المسيحيّة لا يمكنه أن يتجنّب تحقير المسيحيّة.

قانون "كقانون مانو" مؤصّل ككلّ قانون جيّد: يلخّص الخبرة، الذكاء، الأخلاق الاختبارية لقرون طويلة، ينظّم ويقنّن ولا يخلق قطّ.

المقدّمة القياسيّة لتقنين من هذا النوع، هو الحكم المعرفي بأنّ الوسائل الموفّرة للسلطة الذاتيّة على حقيقة محصّلة ببطء وبثمن باهظ، هي في العمق مختلفة عن تلك الوسائل التي يستطاع بها إظهار تلك الحقيقة.

ليس من تشريع يتحدّث عن الفائدة، الصواب، الإقناعات الموجودة في قانون سابق له، بتوقير: إذ بهذا الفعل، سوف يخسر اللهجة الأمرية، الـ (يجب عليك)، وما يتيح له أن يكون مطاعاً.

فالمشكلة تكمن هنا حقاً.

في نقطة معينة من تطوّر شعب فإنّ الطبقة الاجتماعية الأكثر فطنة، أي تلك التي نظرها ينفذ بعمق أكبر في الماضي والمستقبل تعلن الخبرة المجرّبة التي يجب ــ يعني يمكن ــ أن يعاش وفاقاً لها.

غاية هكذا طبقة جني الثمار الأكثر وفرة وغنى وكمالاً لأزمان الخبرة، وأزمان التجربة السيئة.

الذي يجب بالتالي تجنّبه قبل الكلّ متابعة فعل الخبرة وإطالة الحالـــة السائلة المائعة للقيم، والفحص والاختيار، ونقد القيم إلى مالا نهاية.

ولأجل هذا يُقام سوران:

ــ الأول: الوحـــي، الذي يؤكّد بأنّ مصدر تلك الشرائع غير بشـــري، وأنها غير مستقصاة وموجدة شيئاً فشيئاً وبعد سلسلة مديـــدة مـــن الأخطاء، وإنّما ــ كونها من مصدر إلهي ــ هي كاملة، تامّة، بلا تاريخ، عطية، عجائبية، وببساطة هي بلاغ.

ــ الثانـــي : التقليد، الذي هو توكيد بأن الشريعة قد تواجدت مـــنذ أزمان قديمة، وأنّ وضعها في الشكّ يعني اللا ــ تقوى، وسيكون جريمة ضدّ الأسلاف. لقد أسست سلطة الشريعة فوق القضيتين التاليتين: الله أعطاها، والأسلاف عاشوها.

السبب الأعلى لهكذا مسلكيّة يُصادف في مقصدية الرجوع ــ شيئاً فشيئاً ــ إلى وعي الحياة المعدودة قويمةً وحقة (هذا يعني مظهـــرة بواســـطة تجربة خبروية واسعة، ومغربلة بشدّة) بنيّة تحصيل التسيير الذاتي المطلق للغرائز، هذا الظرف الأوّلي لكلّ نوع من براعة وتمام في فنّ الحياة.

وإنّ ترســـيخ قـــانون على طريقة قانون مانو يعني أن تُقدّم لشـــعب الكفاءة ليصبح معلّماً بارعاً، ليصل إلى أن يكون تاماً،

ولـــيطمح إلى الفن الأسمى للحياة. ((لأجل هذا يجب جعله فاقد الحس والشعور)). هذه هي الغاية لكلّ كذبة مقدّسة.

نظام تمايز الطبقات الذي هو القانون الفائق والمسيطر، هو فقط التصديق على تنظيم طبيعي، وشرعية طبيعيّة من المرتبة الأولـــى، التـــي لا يملـــك فوقها أيُّ افتئات متعسّف وأيّة "فكرة حديثة" أيّةَ قدرة.

في كلّ مجتمع سليم تُميّز وتشترط تبادلياً، ثلاثة أنماط مختلفة مـــن الأوزان النفســـيّة، وكلّ واحد من هذه يمتلك علم صحته الخاصة، ومملكته الخاصة في العمل، وشكلاً خاصاً من حساسية الكمال والبراعة. إنّها الطبيعية وليسَ مانو التي تفرّق في ذاتها بيـــن: الـــرجال المسيطرين عقلياً، وأولئك المتصفين بالرجولة الجسدية، وأولئك الذين لا يملكون شيئاً لا من هذا ولا من ذاك، الأراذل. هـــؤلاء الأخيرون هم الأكثرية الكبيرة (العدد الأكبر) بينما الأوّلون هم المختارون.

الطـــبقة العليا ــ والتي أدعوها "الأقليّة" ــ كونها الأتمّ تملك كذلـــك امتـــيازات الأقلية، وفيها يتمثّل تجسيدٌ للسعادة والجمال والطيبة فوق الأرض.. فقط هؤلاء الرجال ذوي الأرواح الكبيرة يملكون الإذن للجمال والجميل: وفقط فيهم الطيبة ليست ضعفاً. الجمال امتياز الرجال القلائل.. والخير امتياز.

وبالمقابل لاشيء يلقى عندهم أدنى قبول كالأساليب القبيحة، أو نظـرة أنانـيّة، أو عين لوّامة، وأدنى حتّى مع ذلك المَوْجَدَة على الهيئة العامّة للأشياء.

الحقد ميْزَةُ الطبقة الحقيرة [الشاندالا]، وبذات القدر الأنانيّةُ.

((العـالم كامل مضبوط ــ هكذا تتحدّث غريزة رجال الفكر أولاء، الغريـزة التي تؤكد ــ وما هو غير كامل، المنحط أسفل منّا من كلّ صنف، التفاوت الطبقي، ومعاناة التفاوت، الشاندالا نفسها، تشكل كلّها مع ذلك جزءاً من هذا الكمال)).

إنّ هـؤلاء الـرجال ذوي الهمّـة، بكونهـم الأكثر عزماً، يصـادفون سـعادتهم هـناك حيث لا يصادف الآخرون غير دمارهم: في المتاه، في القسوة تجاه الذات، وتجاه الآخرين، وفي المحاولة. مسرّتهم في الانتصار على نفوسهم، والتقشّف يتحوّل فـيهم إلى طبيعة وإلى ضرورة، وإلى غريزة. الواجب العسير يعنـي لهـم امتيازاً، ليتاح لهم أن يستخفوا الأحمال التي تسحق الآخرين، ويعني لهم تسلية. .والمعرفة شكلاً من تقشّف وزهد. إنهـم الجـنس الأكثر احتراماً بين الناس، وهذا لا ينفي كونهم الأكثر مسرّة، والأكثر لطفاً.

إنهم يحكمون لا لأنهم يتقصدون بل لأنّ هذه كينونتهم، وهم ليسوا أحراراً في أن يكونوا التالين.

أولـئك التالون في المرتبة الثانية: هم الحرّاس على الحقّ، والمعتنون بالنظام وضمان الأمان. إنهم المحاربون النبلاء، وقبل الكـلّ الملِك المعدود صيغة عليا من المحارب، ومن القاضي، والحافظ للقانون.

التالون هم الذراع المنفّذ لمن هم أكثر ذكاءً، وهم الأكثر دنوّاً مـنهم، والذيـن يخففـون عنهم كلّ أثقال واجبات الحكم، إنهم مرافقتهم، يدهم اليمنى، وأفضل تلامذتهم.

فـي كـلّ هـذا ــ أقول مرّة أخرى ــ ليس ثمّة شيء من عسف، أو اصطناع؛ ما هو متغيّر هو صنعي، والطبيعة (الطبع) حيـنها تتضـرّر. تنظـيم الطبقات، والزعامة، وحدها تصوغ القـانون الأعلـى للحـياة نفسها، والفصل بين الطبقات الثلاث ضروري لحفظ المجتمع، ليكون ممكناً قيام أفراد راقين، ووجود رقيّ.

عدم المساواة في الحقوق هو الشرط الأوّل كيما توجد حقوقٌ على العموم. الحقّ هو امتياز.. وبحسب طريقة وجوده فإنّ كلّ واحـد يملك امتيازه. لا نحتقرنّ حقوق الأوساط. إنّ الحياة التي تريد أن تزداد علوّاً تصير بازدياد أكثر قساوة، والبرودة تزداد، والمسؤولية تعظم. إنّ حضارة عالية هي هرَم. فقط يمكنها أن تنهض وترتفع فوق أرضيّة واسعة، ممتلكة لأساس أوّلي أواسط

نــاس أقوياء وسليمي الوطادة. إنّ الأعمال المكتبيّة، والتجارة، والزراعة، والعلم، والجزء الأكبر من الفن، وبكلمة الكليّة التامّة فــي الاختصاصات الفعليّة، فقط تتوافق جيّداً مع متوسّط القدرة والرغائــب، وكــلّ هــذا يغــدو فــي غير محلّه بين الرجال الاستثنائيين، والغريزة الملائمة المختصّة ستكون متعارضة مع النبالة بمقدار ما تتعارض مع الفوضوية.

ليكون المرء نافعاً عموميّاً، عجلةً، وظيفةً، يجب توفُّر طبيعة مقــرَّرة: والذي يصنع من الرجال آلات ذكيّة ليس المجتمع بل ذلك النمط من السعادة الذي بمكنة الأغلبيّة. فمن التوفيق والحظّ الطيّــب عــند الوسط أن يكون وسطاً. البراعة في أمر واحد، التخصّــص، غريــزة طبيعيّة. وسيكون أمراً غير جدير إطلاقاً بــروح عميقة النظرُ إلى الأواسط كمعارضة في ذاتها. إنّها في طبيعتها الضرورة الأوّلية كي يوجد أولئك المميزون؛ وحضارة رفيعة مشروطة بالأواسط. وعندما يتعامل الرجل الفذّ المميّز مع الأواسط بأنامل رقيقة بأكثر ممّا مع ذاته أو مع أمثاله، فإنّ هذا ليس دماثة قلب وكفى، وإنّما ببساطة واجبه.

من تراني أبغض بالأكثر بين العامة المحدثين، رعاع اليوم؟ إنهــم رعــاعُ علماء الاجتماع، رسلُ الشاندالا، الذين بكينونتهم

المحــدودة يقوّضون الغريزة والسرور والشعور بالرضى عند العامل، والذين يجعلونه حسوداً ويعلّمونه أن ينتقم.

الجور لا يوجد البتّة في الحقوق المتفاوتة، وإنّما في المطالبة بتساوي الحقوق.

مــا هو الشرّ؟ إنّه ما قد قلته: إنّه كلّ ما يتأتّى عن الضعف، والحسد، والانتقام.

والفوضوي والمسيحي لهما الأصل ذاته.

- 58 -

حقّــاً يوجد اختلاف يُبنى على الغاية من الكذب: فليس سواء أن يُكذب للصون، أو يُكذب للهدم.

بيــن المســيحي والفوضوي يمكن أن تُرسم موازاة كاملة. غايــتهما، غريــزتهما، ترمي فقط إلى التخريب.. ولإثبات هذه العــبارة يتوجب فقط أن تُقرأ في التاريخ: إنّه يتضمّنها بوضوح مرعب ــ لقد انتهينا من معرفة التشريع الديني الذي يمتلك غايةَ "تخلــيدِ" تلــك الظروف السامية التي تقوم على تنظيم المجتمع، حتى يمكن للحياة أن تزدهر.

أمّـــا المسيحيّة بالمقابل فقد لاقت مهمّتها التبشيريّة في وضع نهاية لهكذا تنظيم والتخلّص منه، لأنّ به تزدهر الحياة.

هناك، غلّةُ الحكمة عبر أزمان مديدة من التجارب والشكوى وجـب أن تكـون مستخدمة للمنفعة القصوى، والحصيلة بالغة الكبر، بالغـة الغـنى، بالغة الكمال، قد وجب أن تُجمع. هنا، بـالعكس، المحصـول يُسمّم من الصباح إلى المساء.. ما كان ((أكـثر خلـوداً من البرونز))[1]، أي الإمبراطورية الرومانية، التنظيم الأكثر عظمة الذي قيّض له أبداً أن يوجد تحت الظروف الصـعبة، والـذي بالمقارنة معه كلُّ السابقين واللاحقين يُعَدُّون شـطَنيّة، وخـراقة، ومحاولة، نوى قديسو الفوضى أن يدمروه تحـت شعار الرحمة. أولئك القديسون الفوضويون يَعُدّون "فعلاً رحيماً" تدمير العالم، وهذا يعني تدمير الإمبراطورية الرومانية حـتّى لا يـبقى حجـرٌ فـوق حجر، حتّى أنّ أولئك الجرمان والأجلاف الريفيين تمكّنوا من أن يسيطروا عليها.

المسيحي والفوضوي: كلاهما منحطّ، وكلاهما غير قادر أن يعمـل بطريقة أخرى سوى التفسيخ والحلّ، والتسميم، وخسف الحيويّة، ومصّ الدماء؛ كلاهما مع غريزة البغضاء حتّى الموت

(1) فـي ختام عمل Horacio المدعو "odas" الكتاب الثالث، 30 يقول: "ها قد انتهيت من بناء نصب أكثر خلوداً من البرونز" طبعة Clásicos Exit.

لكـلّ مـا هو منتصب، مُتشامخ، ويمتلك ديمومة، ولكلّ ما يَعِد الحـياة بمسـتقبل.. لقـد كانـت المسـيحيّة مصـاص دماء الإمـبراطورية الرومانـيّة، وقد أفسد بين المساء والفجر العمل الواسـع للـرومان للفـوز بأرضٍ لأجل حضارة عظمى تمتلك الـزمان. أفذلك غير مفهوم حتّى الآن؟ الإمبراطورية الرومانية التـي نعرفها، تاريخ المقاطعات الرومانية التي تجعلنا كلّ مرّة نعرف أكثر: أكبر عمل فني مُعجِب من طراز رفيع، كانت بدايةً فقط، وبناؤها حُسب ليكون مشهوداً عبر ألفيّات؛ وحتّى اليوم لم يُشهَد مثيل لهذا، ولا حتّى فُكِّر بالبناء على المقياس نفسه لأجل الخلود!

هـذا التنظـيم كان وطيداً وراسخاً كفاية كما لأجل احتمال أباطرة سيئين.

صـدف الأشـخاص لا يجب أن يكون لها تدخّل وتأثير في هكذا أمور: هذا هو المبدأ الأول بين مبادئ كلّ عمارة عظيمة.

لكـنّ هـذا التنظيم لم يكن راسخاً كفاية، في مواجهة جنس الفسـاد الأكـثر فساداً، وضدّ المسيحي؛ هذه الدودة الخفيّة فلا تُـرى، فـي الظلمة في الضباب وفي الغموض المبهم، تتسلّل مهاجمة كلّ الأشخاص ممتصّة منهم جدهم تجاه الأمور الحقة، وغريزتهم تجاه الوقائع. هذه الزمرة الخسيسة الجبانة، المخنّثة،

والمائعة الرقة، غرّبت شيئاً فشيئاً تلك "النفوس" عن تلك المباني الهائلــة– تلــكَ العناصرَ الطبعيّة القيّمة، النبيلة الرجولية التي تشــعر وتحس بقضيّة روما كأنها قضيّتها الشخصيّة، وجديّتها الذاتيّة، وافتخارها الخاصّ.

مراوغات المنافقين، السريّة الديريّة، ومفاهيمٌ معتمة كالجحيم وكالتضــحية بالبريء وكالإتحاد السرّي في شرب الدم، وفوق الكــلّ النار المُسعَرة بأناة للانتقام ـــ انتقام الشاندالا ـــ: هذا ما غلب روما، وهو نفس النمط الديني الذي في شكل وجود أسبق وقف مضاداً لـــ "أبيقورس"[1]. يُقرأ "لوكريتيوس" لأجل فهم ما صــارعه "أبــيقورس"، والذي هو "المسيحيّة" لا الوثنيّة، أعني الفساد الروحي عبر مفهوم الخطيئة، العقاب، والخلود.

"أبــيقورس" صـــارع العــبادات السردابيّة، وكلّ المسيحيّة الكامــنة. إنكــار الخلــود كان في هذه الحقبة تحريراً وخلاصاً حقيقــياً. وقــد انتصــر أبــيقورس. وكــلّ روح محــترم في الإمبراطورية الرومانيّة كان أبيقورياً.

إذّاك ظهــر "بولــس"... بولــس الذي هو بغضاء الشاندالا متجسّــدة، ومتحولّة إلى عبقري داهية ضدّ روما، ضدّ "العالم"؛ إنّه اليهودي، اليهودي الخالد بتميّز والجوّال الأبدي.

---

(1) يرفض أبيقورس أيّ تدخّل إلهي في شؤون الكون أو الإنسان [P]

لقــد كان ما اكتشفه هو كيف يمكن بمساعدة حركة صغيرة مســيحيّة متعصّــبة، قائمــة على حافّة اليهوديّة، إشغال حريق عالمــي، وكــيف أنّــه برمز ((الله معلّق على الصليب)) يمكن تجمــيع كلّ الذين هم في الأسفل، وكلّ الذين يكنّون نوايا سريّة متمرّدة، وكلّ ميراث الحركات الفوضويّة في الإمبراطورية، في قوّة هائلة. ((الخلاص يأتي من اليهود)) [انجيل يوحنّا 4: 22]. المسيحيّة صيغةُ تجاوزٍ وتفوّقٍ على العبادات السردابيّة من كلّ صنف: أوزوريس، عبادات الأم الكبرى، ميترا، كأمثلة، وتجميع اختصاري لهم . وبمعرفة هذا تقوم عبقرية "بولس"[1]. وفي هذه الــنقطة كانــت غريزته واثقة بحيث أنّها ـــ بعنف لا يلين ضدّ الحقــيقة ـــ وَضَــعَتْ في فم المخلّص، وليس فقط في فمه، هذا

---

(1) أوزوريــس الإلــه المصري الصائر إلهاً للموتى، والأمّ الكبرى سيبيل الفريجيّة التي كانت تعظم أيضاً في روما بعيدها الربيعي وتهتف الجماهير آخر يوم حاملين صورتها في موكب نصر Nostra domina ، وميترا إله فارسي انتقلت عبادته إلى أقصى تخوم الإمبراطورية الفارسية كإله للنور، وكــان كهنته يقولون بحشر الناس أمامه ليحكم فيهم. تلك الحالة المأساوية لتغلغل الديانات الشرقية التي يدعوها ديورانت في الجزء الثالث من المجلد الثالــث بالتــيار الشــرقي الجــارف، غلبت روما. ونافست المسيحيّة هذه الديانات المماثلة وصار لها الغلبة، ويكفي أنّ المسيحيّة أخذت توقيت ميلاد يســوع مــن ديانــة ميترا وهذا ما يشير نيتشه إلى نمطيّته في حديثه عن بولس.

المخلّص المخترع من قبله، تلك الأفكار التخيّليّة التي خلبت أديان الشاندالا تلك.

لقد صنع من المخلّص شيئاً يمكن أن يكون مفهوماً أيضاً من كاهن لميثرا.

هذا ما كانته لحظة دمشق: لقد أدرك الحاجة إلى الإيمان بالخلود لكي يُزدرى العالم، وأنّ مفهوم "الجحيم" سوف يتحكّم بروما. وأنّه مع "الآخرة" تُقتل الحياة..

عدميّ، مسيحي لهما قافية واحدة[1]، لكن ليس القافية فقط، بل يسلكان الطريق نفسها.

- 59 -

كلّ عمل العالم القديم كان بهذا مُبطلاً وعبثاً: لست أصادف الكلمة التي تعبّر عن شعوري إزاء شيء بالغ الإرعاب كهذا. وآخذاً في الحسبان أن ذلك العمل كان عملاً مهيئاً له، إذ بوعي صلب كالغرانيت، وُضعتْ الأسس لعمل من أجل ألفيات السنين، إنّما كلّ معنى العالم القديم قد أُبطل.

[1] في الألمانية الكلمتان هما Nihilist و Christ. [P]

لماذا أولئك اليونان؟ لأيّ شيء الرومان؟ كانت كلّ ظروف حضارة واعية وكلّ المناهج العلميّة هي الآن هنا، وقد قُرّر الفن الأعظم الذي لا يضاهى للقراءة الجيدة.وهذا الظرف الممهّد لتقليد حضاري، لوحدة العلم، العلم الطبيعي في تحالف مع الرياضيات والميكانيكا، كان موضوعاً فوق الطريق الأفضل. معنى الأعمال النهائي والأثمن بين المعاني، كانت له مدارسه وتقاليده القديمة لقرون.

هل هذا مفهوم؟ كلّ الجوهري للشروع في العمل قد وُجدَ: المناهج، ويجب أن أقول ذلك عشر مرّات، هيَ الأمر الجوهري، كذلك هي الشيء الأكثر صعوبةً، والذي يجابه مضاداً له ــ وخلال زمن طويل ــ العادةَ والكسل.

الذي قد أحرزناه اليوم بموجب تغلّب هائل وسيطرة على الذات، [إذاك أننا جميعاً حتّى اليوم نحمل بطريقة ما في دمائنا الغرائز الرديئة المسيحيّة]، أي النظرة الحرّة إلى الواقع، اليد الحذرة، الصبر، الجديّة تجاه أصاغر الأمور، كلّ النزاهة في المعرفة، هذا كلّه كان هنا! وقد وجد منذ قرابة ألفي سنة!

وبالإضافة قد وجد اللمس والذوق الجيدين، الرفيعين.لا كترويض للدماغ! لا كتثقيف ألماني بطرق مملّة! إنّما كجسد، كسِمة، كغريزة، وفي كلمة: كواقع.

كلّه باطل!! وبين مساءٍ وصباح، لم يبقَ سوى الذكرى! يونان! رومان! نبالة الغرائز، الذوق، البحث المنهجي، عبقرية التنظيم والإدارة، الإيمان بمستقبل الإنسان، والعزم لأجله، التوكيد الكبير لكلّ الأشياء، جميع الأشياء التي تحسّها الحواس كلّها، كالإمبراطورية الرومانية، النمط العظيم لا فقط كفن محض، وإنّما متحوّلاً إلى واقع وحقيقة وحياة، هذا كلّه بين مساء وصباح بَات مدفوناً لا بفعل كارثة طبيعيّة! وموطوءاً لا من قِبَل الجرمان أو الأجلاف الآخرين! وإنما.. مفككاً بمصاص للدماء مراوغ، كامن، غير منظور، ومفتقر إلى الدم!

لم يُغلب، فقط مستنزفاً!

الميل الخفيّ للانتقام والحسد الصغير تحوّل إلى سيد! كلّ ما هو بائس، ما هو معانٍ في ذاته، ومبتلى بالشعور الرديء، كلّ عالم الجيتو Gueto النفسي، بضربةٍ صار في الأعلى!

فليُقرأ فقط أيّ مهزوز مسيحي، مثل *سان أوغسطينس*، مثلاً، وسيفهم ويُحَسّ أيّ أناس ملوثين صاروا في الأعلى.

إننا لنخدع أنفسنا إمّا اعتقدنا أنّ قادة الحركة المسيحيّة قد نقصهم الفهم: آه! كانوا حاذقين، حاذقين حتّى القداسة، أولئك السادة آباء الكنيسة! إنّ ما ينقصهم كان أمراً آخر شديد الاختلاف. الطبيعة لم تكن كريمة معهم وأهملتهم، نسيت أن

تزوّدهم بهبة متواضعة من فطرة تستحق الاحترام، لائقة محتشمة، ونظيفة..

الكلام فيما بيننا: ولا حتّى هم رجال..

إنّ الإسلام لدى احتقاره المسيحيّة يمتلك ألف مرّة الحقّ بأن يفعل ذلك:

إذ الإسلام يتطلّب الرجال.

- 60 -

لقد حرمتنا المسيحيّة من مجاني الحضارة القديمة، وفيما بعد حرمتنا من ثمار حضارة الإسلام.

العالم الغرائبي لحضارة العرب في إسبانيا، والذي هو في الأساس أكثر قرباً إلينا من روما واليونان، والذي يتناسب أكثر مع شعورنا وذوقنا، قد غُمر ـ ولست أقول بأية أقدام ـ لماذا؟ لأنّه صدر، لأنّه دان بمولده لغرائز أرستقراطيّة، لغرائز

رجولية، لأنّه أكّد الحياة بما فيه من الغنى النادر والمهذب للحياة الأندلسيّة[1].

الصليبيّون حاربوا في زمن آخر ضدّ أمر كان عليهم أن يرتموا أمامه فوق التراب: حضارة تجاهها حتّى قرننا التاسع عشر يبدو بالغ الفقر، بالغ التأخّر. طبعاً الصليبيون تطلعوا للقيام بتمرّد: والشرق كان غنيّاً.

هلاّ نكن غير متحيّزين؟! إذاً فالصليبيون كانوا قرصنة رفيعة لا أكثر!

النبالة الألمانية، التي هي أصلاً نبالة فايكنغ، كانت في بيئتها الملائمة مع الحملات الصليبيّة: لقد عرفت الكنيسة تماماً كيف تربح النبالة الألمانية... النبالة الألمانية، التي كانت دائماً ما كانه السويسريون، مرتزقة الكنيسة، الخادمين دائماً لغرائزها السيئة، إنمّا المأجورين جيداً.. بالتأكيد بمساعدة السيوف الجرمانيّة، وبالدم والشجاعة الجرمانيّة، أقامت الكنيسة حرباً مستميتة ضدّ كلّ نبالة موجودة فوق الأرض.

حول هذه النقطة، ثمة مقدار من الأسئلة المؤلمة.

---

[1] ما يعرفه نيتشه عن الإسلام منبعه يوليوس ويلهاوزن: بقايا الوثنية العربية 1887 وأوغست موللر: الإسلام في الشرق والغرب – برلين 1885 . [P]

النبالة الألمانية لولا قليل لبقيت مغيبة من تاريخ الحضارة الراقية. ويمكن أن يُخمّن السبب: المسيحية والكحول، هاتان الوسيلتان الكبيرتان للفساد.

هنا لم يكن ثمة شكوك في الاتجاه الذي يُتخذ، لا بين الإسلام والمسيحية، ولا بالأولى بين عربي ويهودي. القرار قد اُتّخذ، ولا أحد هنا حرّ في اختياره. إمّا أن يكون شاندالا أو لا يكون شاندالا: ((حربٌ بلا هوادة على روما[1]، سلام وصداقة مع الإسلام)) هكذا فكّر، وهكذا فعل ذلك الروح الكبير الحرّ، العبقري بين الأباطرة الألمان: *"فريدريك الثاني"*.

كيف؟ أيكون أنّ ألمانياً عليه أن يكون أوّلاً عبقريّاً، مفكراً حرّاً، للشعور بطريقة لائقة؟ لست أفهم كيف أنّ ألمانياً يمكن أبداً أن يمتلك مشاعر مسيحيّة.

- 61 -

هنا من الضروري ملامسة ذكرى هي مئة مرّة أكثر إيلاماً للألمان. إنّ الألمان قدحرموا أوروبا الحصاد الأخير الأكبر؛

---

[1] روما البابوية.

المحصـــول الأخـــير الـــذي أنتجته أوروبا، محصول النهضة. أفيُعرف بسهولة، إمّا أريد ذلك، ما كانته النهضة؟ كانت تحويلاً فـــي القـــيم المسيحيّة، كانت محاولة مُقدَمٌ عليها بكل الوسائل، مستَعانٌ لأجلها بكلّ الغرائز، وبكلّ عبقريّة، لحمل القيم المعاكسة والقيم النبيلة إلى ملء غلبتها.

حـــتى الســـاعة لم يوجد ما يربو على هذه الحرب العظمى، وحـــتّى الســـاعة لـــم توجد مسألة أكثر إلحاحاً من التي أقامتها النهضة؛ ومشكلتي هي مشكلتها...

لـــم يوجـــد بالمـــرّة كذلـــك أيّ شكل من الهجوم أكثر عمقاً وتنظيماً، أكثر مقصداً وتوجهاً مستقيماً، أكثر صلابة غير مقيّدة، فـــوق كلّ الجبهة كما ضدّ المركز.. الهجوم في المكان الحاسم، فـــي مقـــرّ المســـيحيّة نفســـها، وحملُ القيم النبيلة إلى العرش (عرشـــها)، أريـــد أن أقـــول: إعـــلاء تلك القيم الأرستقراطية وتعظيمها، وتطعيم تلك الغرائز والضرورات العميقة والرغائب الأساسية لمن يحتلون مقرّها، بها.

أرى أمامـــي إمكانيّة سحر وفتنة لا توصف، وتبدو لي تلك الإمكانية متلألئة بكلّ ارتعاشات الجمال المصفّى، وفيها يقامُ فنٌّ بـــالغ القداســـة، بـــالغُ شيطانيّةِ القداسة، بحيث عبثاً يُبحث عبر ألفيات السنين عن إمكانية ثانية مثل هذه.

أرى مشـــهداً مليئاً بالمعنى، وفي الوقت ذاته، شاذاً متناقضاً بطـــريقة غرائبيّة، بحيث كلّ آلهة الأولمب امتلكت دافعاً لتتفجر في قهقهة خالدة: قيصر بورجيا Cesar Borgia بابا!

هـــل أنا مفهوم؟ حسنٌ إذاً.. هذا كان الانتصار الذي أرغب فـــيه وحـــده اليوم: وبه بقيتِ المسيحيّة مغلوبة ومُتجاوَزة. ماذا حصـــل؟! راهـــبٌ ألمانـــي يدعى لوثر، ذهب إلى روما، هذا الراهب، الذي يحمل في جسده كلّ غرائز الانتقام لكاهن مصابٍ بـــالحوادث ومخيَّـــب، ثار في روما ضدّ النهضة... وبدلاً من التفهّم، مع الشكر العميق، للحوادث الهائلة التي وقعت، ولتجاوز المسيحيّة في مقرّها، فإنّ كراهيته وبغضاء استخرجت فقط من هذا المشهد غذاءها الخاص.. رجل ديني، فقط يفكّر في نفسه.. رأى لوثـــر فساد البابوية، بينما المقابل كان بالتأكيد في متناول اليد:

إذ الفساد القديم، والخطيئة الأصلية [Peccatum original]، والمسيحيّة، لم تعد بعد متربعةً على العرش البابوي! إنما الحياةَ والانتصـــار للحـــياة، والقـــول بالإيجـــاب لكلّ الأشياء الرفيعة والجميلة والمقدامة.

ولوثـــر.. أصـــلح الكنيسة مجدّداً: أي هاجمها؛ والنهضة ! واقعَـــةٌ بـــلا معنى وجهد باطل! آه من هؤلاء الألمان كم أثقلوا

عليـنا! جعـلُ كـلّ شيء باطلاً، هذا كان دائماً دأب الألمان. الإصــلاح، "ليبـنز" "كانط" وما يُدعى فلسفة ألمانية، ومعارك الــتحرّر[1] والرايخ كلّ مرّة تُبطِلُ شيئاً قد تحقّق وأمراً لا يمكن الرجوع عنه.

أولـئك الألمان هم أعدائي، وأنا أجاهر بذلك: أحقِر فيهم كلّ شكل من قذارة المفاهيم والقيم، وكونها غير نظيفة، كلّ شكل من جبن تجاه كلّ نعم مشرّقة أو لا.

خـلال ما يقرب من ألف سنة شوشوا كلّ ما لمسته أيديهم. ومـا يملكون في ضمائرهم غير أنصاف التشكيلات، ولا حتّى، بل كلّ نقص وثلاثة أجزاء من ثمانية، كلّ تلك الأشياء التي منها أوروبا مريضة.

كذلك هم آثمون من النوع الأكثر وساخة في المسيحيّة ممّا قد وجد، الأكثر عدم قابليّة للشفاء والذي لا يُرَدّ: البروتستانتيّة.

إذا لـم يـتم الـتخلص من المسيحية، فإن الألمان سيحملون الخطيئة.

---

[1] هي معارك الاستقلال التي جرت في ألمانيا بين 1813 و1815 للتحرّر من السيطرة النابوليونية [P].

- 62 -

بهذا أكون قد وصلت إلى النهاية فأعبّر عن حكمي.

أنـا أدين المسيحيّة وأرفع ضدّ الكنيسة المسيحيّة الاتّهامات الأكثر ترويعاً التي قيّض لمتهمٍ أبداً أن يحملها في فمه.

إنّهـا عندي الفساد الأكبر بين كلّ ما يمكن تخيّله من فساد، إنّهـا قـد ملكت إرادة الوصول إلى الغاية الأخيرة الممكنة من الفساد.

الكنيســة المسيحيّة لم تَدَع شيئاً دُون أن تلمسه بفسادها، كلّ قـيمة حولّـتها إلــى لا قيمة، وكلّ حقيقة إلى كذب، وكلّ أمر مشـرّف إلى حطّة للروح. أفيتجاسر أحد مع ذلك ويكلمني عن بركاتها "الإنسانيّة".

تجاوز أيّ بؤس هو أمر مضادّ لمصلحتها الأبعد غوراً: لقد عاشت على حالة الحاجة والبؤس، وخلقت البؤس لتكون مؤبّدة.. وكمثال، دودة الخطيئة: الكنيسة بهذه النكبة أغنت البشريّة!!

((المســاواة بين النفوس تجاه الله)) هذا الزيف، هذه الحجة الــتي هــي حجــة الضاغنين الأكثر حطّة، هذا المفهوم البالغ الانفجاريــة الــذي قد تحوّل أخيراً إلى ثورة، والفكرة الحديثة

والأساسية للانحطاط في كلّ النظام الاجتماعي، هي ديناميت مسيحي.

البركات "الإنسانية" للمسيحيّة! هذا عملِ من "الإنسانية" تناقضاً ذاتيّاً، وفن احتقار ذاتيّ، وإرادة تكذيب أيّة قيمة، وتحقيراً ونفوراً ضد كلّ الدوافع الجيدة والشريفة.

هذه هي عندي بركات المسيحيّة!

التطفل هو الممارسة العمليّة الوحيدة للكنيسة! الكنيسة بأفكارها ذات اليرقان وفقر الدم والقداسة، التي تنغب حتّى الأخير كلّ دم، كلّ أمل، وكلّ محبة في الحياة، والآخرة كإرادة إنكار للواقع؛ والصلبُ كعلامة تعريف للمؤامرة الأكثر ديماسيّة على غرارٍ لم يوجد مثيله قطّ: تُضادُ الصحّة والجمال والإتقان، والإقدام، والهمّة، وكرم النفس؛ تضادّ الحياة ذاتها.

هذا الاتّهام الأبدي ضد المسيحيّة أريد أن أكتبه فوق كل الجدران، حيث توجد جدران؛ فأنا أملك حروفاً مرئية حتّى من العميان.

إنني أدعو المسيحيّة اللعنةَ الكبيرة الوحيدة، الشذوذ الباطني الأكبر والوحيد، والغريزة الأكثر تفرّداً للانتقام، الذي لأجله ليس ثمّة أداة سامّة كفاية، خفيّة، سردابيّة، لئيمة، مثلها.

إنني أدعوها اللطخة الأبدية فوق البشريّة.

يُحسب الزمن انطلاقاً منذ يوم النحس الذي به بدأ ذلك الشؤم؛ منذ اليوم الأوّل للمسيحيّة. لماذا، وهو الأفضل، لا يحسب منذ آخر يوم لها؟ أيكون منذ اليوم؟ التحويل في جميع القيم!

تشريع ضدّ المسيحيّة[1]

أعطـــي فـــي يوم الخلاص، في اليوم الأوّل للعام واحد (30 سبتمبر من عام 1888 من التقويم الزائف)

حربٌ حتّى الموت ضدّ الرذيلة، والرذيلة هي المسيحيّة.

البند الأوّل: رذيلٌ كلّ نوع ضدّ الطبيعة؛ النوع الأكثر رذيلة بيـــن البشر هو الكاهن، إنّه يعظ بمضادّة الطبيعة. وضدّ الكاهن لا يُتعامل بالحقوق، بل بالسجن.

---

(1) مقدّمة شفق الأوثان يذيلها نيتشه هكذا: "تورينو 30 سبتمبر 1888 اليوم الذي تمّ فيه الكتاب الأوّل من قلب جميع القيم". إنّه ذات اليوم المذكور هنا. ونفـــس العـــبارة فـــي نهايـــة هذا الكتاب آنفاً: "قلب جميع القيم". إنّها فترة محمومـــة الاندفـــاع كتـــب فيها نيتشه كتب حملته النهائيّة على المسيحيّة. خريف وشتاء 1888 في تورينو. انهار في يناير 1889 وتوفي 1900.

البند الثاني: كلّ مشاركة في خدمة إلهيّة هو تعدٍ على الأخلاق العامّة. يتوجّب التشدّد والقسوة ضد البروتستانتيين أكثر مما ضدّ الكاثوليكيين. فما في الكينونة مسيحيّاً من جنوح جريمي ينمو بمقدار الدنوّ من العلم. أكثر الجانحين جرماً، بهذا، هو الفيلسوف.

البند الثالث: المكان اللعين، حيث حضنت المسيحيّة بيوض الأفاعي ذات النظرات المميتة سيكون مدمَّراً ومُسوّى بالأرض؛ وكمكان دنس في الأرض، سيكون فزعاً للأنسال الآتية كلّها، وسيكون ثمّة أفاعٍ سامة تربو فوقه.

البند الرابع: الوعظ بالعفّة هو تحريض عمومي لمضادّة الطبيعة. كلّ احتقار للحياة الجنسيّة، كلّ تدنيس مضادّ للذات عبر مفهوم "اللا نقي" "الدنس" هو خطيئة أصلية ضدّ الروح المقدّس للحياة.

البند الخامس: تناول الطعام فوق مائدة واحدة مع كاهن يسبب الطرد: معه سيحرم المرء نفسه من المجتمع الشريف. الكاهن هو طبقتنا المنحطّة "الشاندالا" ويجب أن يكون مُبعَداً محظوراً، ميتاً من الجوع، منفياً إلى أي قفرٍ كان.

البند السادس: التاريخ "المقدّس" يجب أن يلقّب بالاسم الذي يستحقّه: تاريخ ملعون.

وكلمة "الله"، "المخلّص"، "الفادي"، "قديس" تستعمل كسُبّة، كتمييز للمجرمين.

البند السابع: البقيّة تستنبط من هنا.

"الأنتي كريستو"